القرامطة

(نشأتهم – عقيدتهم – قيام دولتهم – علاقتهم بالدولة الفاطمية)

د / صلاح حسن العاوور*

ABSTRACT

Gramita are related to Hamdan Bin Al Asha'at called "Gurmut". At the beginning, they were a group of the Public Ismalia Movement but they dissented and disagreed with them theologically and politically. They established their state in Bahrain and Ihsaa' and had a presence in Kufa, Peninsula and Syria (Including Palestine, Jordan and Lebanon).

Gramita had intimate relations with Fatimites in North Africa, but they became enemies when the fatimites conquered Egypt. Gramita thought that the Fatimites' presence in Egypt could affect their interests in the region.

The fight continued between them till the reign of the Caliph, Al Muiz L-deen Allah.

They made an agreement with him and returned home to Bahrain and Ihsaa' where they remaind there until the end of their state in ٤٧٠ Hijra after being defeated by the Sunni Saljugs in "Al Khandak".

ملخص البحث

يُنسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ، وقد كانوا في البداية جزءاً من الحركة الإسماعيلية العامة ثم انشقوا عنها وخالفوها عقائدياً وسياسياً ، وكوّنوا لهم دولة في البحرين والأحساء ، وكان لهم وجود في الكوفة والجزيرة والشام .

وأقام القرامطة علاقة ود وتفاهم مع الفاطميين في المغرب ثم تحولت هذه العلاقة إلى عداء وحرب حينما استولى الفاطميون على مصر لتعارض مصالح الدولتين . واستمرت الحروب بينهم إلى أن جاء الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فعقدوا معه اتفاقاً وعادوا إلى البحرين والأحساء ، وبقوا فيها حتى ضعف أمرهم وانتهت دولتهم سنة ٤٧٠هـ بعد هزيمتهم في موقعة الخندق على يد السلاجقة السُنّة .

---

* أستاذ التاريخ المشارك في الجامعة الإسلامية بغزة.

القرامطة

(نشأتهم – عقيدتهم – قيام دولتهم – علاقتهم بالدولة الفاطمية)

القرامطة جزء من الطائفة الإسماعيلية ، والإسماعيلية طائفة باطنية وهي فرقة من فرق الشيعة الإمامية إلا أنها انفصلت عنها إثر خلاف حول الإمامة بعد موت الإمام جعفر الصادق *، وكان الخلاف في أول الأمر بسيطاً لا يعدو أن يكون حول الإمامة ، ولكنه استفحل بعد ذلك ، وبمضي الزمن أُدخلت آراء جديدة وأصول للعقيدة تبعد عما كانت عليه الطائفة قبل خروجها عن دائرة التشيع العامة (١) .

فقد انقسمت الشيعة الجعفرية بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ إلى فرقتين فالأكثرية العظمى من أتباع المذهب الجعفري نادوا بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وسلسلوا الإمامة في الأكبر سناً من عَقبه إلى أن أشيع بأن الإمام الثاني عشر ، وهو محمد بن الحسن العسكري دخل سرداباً – كهف الاستتار – في مدينة سامراء وأنه اختفى في هذا السرداب خوفاً على نفسه من بطش العباسيين بآل البيت ، ويقول شيعته أنه لا يزال إلى الآن حياً وأنه سيخرج من سردابه فهو المهدي المنتظر الذي سيملأ الدنيا عدلاً ، ويرد الحق إلى أهله قبل يوم القيامة .

ويُسمى أتباعه بالإمامية الإثنى عشرية نسبة إلى عدد الأئمة ، وأيضاً بالموسوية نسبة إلى موسى الكاظم (٢) ، والشيعة في إيران والعراق وسوريا ولبنان يعتنقون هذا المذهب .

---

* هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، سادس الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة الإمامية ، كان من التابعين ، لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، وكان ذو علم غزير وأدب وحكمة وزهد وورع ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٠هـ وتوفي فيها سنة ١٤٨هـ .

أما الفرقة الثانية التي تفرعت عن المذهب الجعفري فهي فرقة الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق فنُسبت إليه هذه الفرقة التي تُعرف " بالإسماعيلية " أو " الباطنية " أو " التعليمية " أو الفرقة " الهادية " (٣) .

وتروى حول هذا الانشقاق روايات كثيرة منها : إن سبب انشقاق أتباع جعفر إلى هاتين الفرقتين أن جعفر أوصى بأن يتولى إسماعيل الإمامة من بعده ، ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه ، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب فقط .

أما الإمامة بعد الحسن والحسين فلا بد أن تنتقل من أب إلى ابن . وقام مؤرخو الإسماعيلية بتأويل الآيات الكريمة ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ (٤) لتناسب فكرهم حيث قالوا أن معنى كلمة الواردة في الآية هو الإمامة ، وأنها لا بد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم (٥) .

ويقول الشهرستاني : إن من الإسماعيلية من يقول : (إنه مات ، وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كما نص موسى على هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده . فإن النص لا يرجع قهقرى ، والقول بالبداء محال ولا ينص الإمام على واحد من أولاده إلا بعد السماع من آبائه. والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة) (٦) .

ومن مؤرخي الإسماعيلية من يقول (٧) : إن إسماعيل لم يمت لكن أظهر موته تقية حتى لا يقصد بالقتل من قبل العباسيين ويدللون على ذلك بدلالات منها :

إن محمدًا بن جعفر الصادق أخا إسماعيل وكان صغيراً ، مضى إلى السرير الذي كان إسماعيل مسجى عليه ، ورفع الملاءة فأبصره وقد فتح عينيه ، فعاد محمد مسرعاً فزعاً إلى أبيه وقال : أخي إسماعيل عاش ، عاش أخي .

فقال والده جعفر الصادق : إن أولاد الرسول هكذا يكون حالهم في الآخرة يا بني !

وهكذا خاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل فادعى موته، وأتى بشهود كتبوا محضراً بوفاته ، وأرسل ذلك المحضر إلى الخليفة العباسي وهذا يعتبره مؤرخو الإسماعيلية دليلاً آخر على عدم وفاته فإن كتابه محضر لميت أمر لم يعهده العرب في جاهلية أو إسلام .

ومن مؤرخيهم من يقول (٨) : إن الإمام إسماعيل شوهد بالبصرة وقد مرّ على مُقعَدٍ فدعا له فبرئ بإذن الله ولما بلغ الأمر الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور أرسل إلى الإمام جعفر الصادق يخبره أن إسماعيل لا يزال على قيد الحياة وأنه شوهد بالبصرة فأنفذ الإمام جعفر الصادق سجل الوفاة إلى المنصور وعليه شهادة عامله التي تؤكد وفاة الإمام إسماعيل .

وقيل إنه بعد وفاة إسماعيل أتى أخوه موسى إلى أبيه جعفر الصادق وقال له : قلدني الإمامة بعد أخي . فأجابه أكظم يا موسى ، فسمي موسى الكاظم (٩) .

إن قصة التمويه بوفاة إسماعيل هي قصة خيالية وضعها بعض أصحاب المناقب من مؤرخي وكتّاب الإسماعيلية الذين يكثرون من مثل هذه القصص في كتاباتهم ليضفوا على الأئمة الإسماعيلية مناقب وفضائل لا يقرها عقل (١٠) .

هذا رأي الإسماعيلية أما الرأي الآخر- الشيعة الإثنا عشرية وغيرهم- فإنه يفيد بأن الإمام جعفر الصادق - التقي الورع الفقيه - لم يكن راضياً

عن تصرفات ابنه إسماعيل وأنه قد تبرأ من أعماله ، وعزله عن الإمامة قبل موت إسماعيل لأنه كان مدمناً على شرب الخمر ولوعاً بالنساء [١١] .

غير أن أنصار إسماعيل أنكروا على الإمام جعفر الصادق هذا التصرف ، وقالوا أن إسماعيل معصوم وإنه إن كان شرب الخمر فإن هذا لا يفسد عصمته (١٢) .

إن هذا التبدل من قبل الإمام جعفر الصادق نحو ابنه إسماعيل كان له أسباب وعلل أخرى أهم من شرب الخمر والتعلق بالنساء . فقد كان إسماعيل صديق أبي الخطاب * الفاسق الملحد الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق وإنه – أي أبو الخطاب – رسوله ، مما جعل الإمام جعفر الصادق يتبرأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك ، وبالغ في التبرؤ منه واللعن عليه ، وهكذا لم يرض جعفر عن الصلة والصداقة التي كانت بينه وبين إسماعيل (١٣) وتقوم أفكار الخطابية على أن الأئمة أنبياء ، ثم آلهة ، وقال بألوهية جعفر الصادق وألوهية آبائه ، وهم أبناء الله وأحباؤه ، والإلهية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة ، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار ، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر وبلية ومشقة . واستحل الخمر والزنا وسائر المحرمات ، وأباح ترك الصلاة وجميع الفرائض ، وقال أن من أصحابه من هم أفضل من الملائكة (١٤) وادَّعى أيضاً التناسخ ، وقال: إن الإيمان سبع درجات (١٥) .

---

* أبو الخطاب : هو محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد ، وقد عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الإمام جعفر على غلوة الباطل تبرأ منه ولعنه . انظر الشهرستاني : ج١ ص ١٧٩ – ١٨٠ .

ولما علم به وبدعوته الخبيثة والي العراق عيسى بن موسى قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً عديدة .

ومن السابق تستنتج أن إسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالملاحدة والفساق وأن عزل الإمام جعفر الصادق له عن الإمامة كان لهذه الصلة الغريبة والشاذة (١٦) .

ويعزز هذا الاستنتاج العلاقة القوية التي كانت تربط بين محمد بن إسماعيل ، وميمون القداح وريث أبي الخطاب في الدعوة الباطنية (١٧) .

فبعد قتل أبي الخطاب اتبع أنصاره ومنهم ميمون القداح وابنه عبد الله محمد بن إسماعيل وقالوا بإمامته ، وتم على هذا الأساس بناء الطائفة الإسماعيلية (١٨) والقداح وابنه عبد الله كانا من الغلاة الملحدين وقد كانت لهما أفكار وعقائد في غاية الخبث والدهاء تُخرج الإنسان من دينه متخذين من مزاعمهما حول الانتساب إلى آل البيت شعاراً خادعاً يصلون فيه إلى أهدافهم الهدامة ، خاصة أن أخبار محمد بن إسماعيل قد اختفت بعد هربه من المدينة برفقة القداح وابنه (١٩) .

وكانت لعبد الله بن ميمون نظرة فارسية متعصبة وشعوبية بغيضة ، واستخدم هذه الدعوة الهدامة لتحقيق غاياته وأهدافه التي تمثلت في أن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلاّ ضلالاً وسخرية (٢٠) .

وهكذا نجد أن أصول الإسماعيلية ترجع إلى غلاة الملاحدة ، وأن الحركة الإسماعيلية استمرار للحركات الباطنية الإلحادية التي خلعت ربقة الإسلام من عنقها .

لذا قامت الدولة العباسية بمطاردة القداح ففر إلى البصرة ومعه حسين الأهوازي من أقطاب شيعته ، وحينما لوحق هناك فر إلى الشام مع صديقه ونزل ببلدة (سلمية) قرب مدينة حمص في سوريا ، واتخذها مركزاً لدعوته ، وحمل الدعوة من بعده ولده أحمد ، وسير الحسين إلى العراق ،

وخلف أحمد في حمل الدعوة ابنه الحسين ، ثم أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع (٢١) .

وصل داعي الإسماعيلية رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي إلى بلاد اليمن سنة ٢٧٠هـ ، وقد نجح في مسعاه وابتنى حصناً بجبل لاعة باليمن وتغلب على معظم أرجائها وبعث دعاته إلى اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر وبلاد المغرب .

وقد نجح دعاة بلاد المغرب موت الحلواني ، وأبو سفيان في تمهيد الأجواء للدعوة فعهد ابن حوشب بالدعوة في بلاد المغرب إلى أبي عبد الله الشيعي الذي لاقى نجاحاً كبيراً حيث بدأت القبائل في الدخول في دعوته ، فأرسل إلى سلمية يدعو الإمام عبيد الله المهدي للحضور إلى أفريقيا (٢٢).

وقد واجه عبيد الله المهدي الصعاب والمشاق إلى أن وصل إلى شمال أفريقيا وأقام دولته سنة ٢٩٦هـ .

سبب تسميتهم بالقرامطة :

ويعود سبب تسمية القرامطة بهذا الاسم إلى ستة أقوال :

أحدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من استزلهم عن المحجة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفياً .

والثاني : أن لهم رئيساً من سواد العراق من الأنباط * يلقب بقرمطوية ، فنسبوا إليه .

والثالث : أن قرمطاً كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر فنُسبوا إليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم .

والرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له " كرمية " فلما رحل تسمىّ قرمط بن الأشعث ثم أدخله في مذهبه .

---

* الأنباط : جمع نبط ، والنبط قوم نزلوا بالبطائح بين العراقيين .

والخامس : أن بعض دعاتهم رجل يقال له " كرمية " فلما رحل تسمىّ باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل : قرمط (٢٣) .

وكان زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان إلى عاصمة الكوفة فنزل بموضع يقال له النهرين وتظاهر بالزهد والورع والتقشف وكان يسف الخوص ويأكل من كسب يده ، ويكثر من الصلاة ، وأقام على ذلك زمناً كبيراً .

وكان إذا جاءه شخص وجلس معه تحدث معه في أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأخبره أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت . فأقام على الدعاية حتى اجتمع حوله جمع كبير .

واصطحب برجل بقال وكان يكثر الجلوس على باب حانوته ، فجاء يوماً قوم إلى البقال وطلبوا منه رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من نخلهم ، فدلهم عليه ، وقال لهم : " إن أجابكم إلى حفظ تمركم فإنه بحيث تحبون " فكلموه في ذلك فأجابهم إلى ذلك بأجر معلوم ، فكان يحفظ لهم ، ويصلي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطاره رطلاً من التمر من البقال فيأكله ، ويجمع النوى ويعطيه البقال .

فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ودفعوا إليه أجرته ، وحاسب الأجير البقال على ما أخذه من التمر ، ودفع له ثمن النوى.

فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى ، فضربوه ، وقالوا له : " لم ترضَ بأكل تمرنا حتى بعت النوى " ، فقال لهم البقال :" لا تفعلوا " وقص عليهم القصة ، فندموا على ضربه ، واستحلوا منه ففعل .

وازداد بذلك نبلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده ، ثم مرض ، فمكث على الطريق مطروحاً ، وكان في القرية رجل يدعى " كرميته " لحمرة عينيه – وهو بالنبطية – يحمل على أثوار له ، فكلم البقال

في حمل المريض إلى بيته ، فحمله وأقام حتى برئ . ودعا أهل القرية إلى اعتناق مذهبه فأجابوه .

وكان يأخذ من كل رجل ديناراً ، ويزعم أنه للإمام . واتخذ منهم اثني عشر نقيباً ، وأمرهم أن يدعوا الناس إلى نحلته ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى .

فاشتغل أهل كور تلك الناحية عن أعمالهم ، بما رسم لهم من الصلوات ، وكان للهيصم *في تلك الناحية ضياع فرأى تقصير أهل القرية في عمارتها ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر القرمطي ، فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه .

وجعل مفتاح البيت تحت وسادته ، واشتغل بالشرب ، فسمع بعض من في الدار من الجواري بقصته فرقت للرجل ، فأخذت المفتاح – حين نام سيدها – وفتحت الباب وأخرجته ووضعت المفتاح مكانه .

فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده . وشاع ذلك في الناس فافتتن به خلق كثير من تلك القرية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى واجتمع بأصحابه وغيرهم ، وسألوه عن أمره فأخبر أنه لا يمكن لأحد أن يصل إليه بسوء ، فعظم في ذلك الوقت في أعينهم ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشأم ، فلم يوقف له أثر ، وسمى نفسه باسم الرجل الذي كان في داره " كرميته " ، صاحب الأثوار ، ثم خفف فقيل قرمط (٢٤) .

والسادس : أنهم لقبوه بهذا نسبه إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن الأشعث والذي لقب بقرمط لقصر كان فيه ، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل إلى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في الطريق وهو متوجه إلى

---

* الهيصم هو عامل الكوفة . نظر ابن خلدون : ج٣ ، ص٣٣٥ .

القرية وبين يديه بقر يسوقها ، فقال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان .

فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي .

فقال : إني لم أؤمر بذلك .

قال : كأنك لا تعمل إلا بأمر ؟

قال : نعم .

فقال حمدان : وبأمر من تعمل ؟

قال : بأمر مالكي ومالك ومالك الدنيا والآخرة .

فقال : صدقت .

قال : وما غرضك من هذه البقعة ؟

قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاوة إلى السعادة ، وأستنقذهم من ورطات الذل والفقر ، وأملكهم ما يستغنون به عن التعب والكد .

فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ما تحييني به ، فما أشد حاجتي إلى ذلك .

فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه .

قال حمدان : فاذكر عهدك فإني ملتزم له .

فقال : أن تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ، أن لا تخرج سر الإمام الذي ألقيه إليك ، ولا تفشِ سري أيضاً .

فالتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع ما دعاه إليه .

ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلاً من أُصول هذه البدعة ، فسمّى أتباعه القرمطية (٢٥) .

وقد قيل أن أصل لفظ قرمط مشتق من كلمة (KETAMIDI) وهي يونانية الأصل (٢٦) ، وقيل أنه لفظ آرامي " نبطي " مشتق من "قرمطونا " أي المدلس والخبيث أو الماكر والمحتال (٢٧) .

إن كلمة " قرامطة " هي الاسم الذي أطلقه أهل السنة والجماعة على هذه الفرقة الباطنية تمييزاً لهم عن غيرهم من الفرق ، وأما الاسم الذي كان زعماؤها يطلقونه على أنفسهم فهو : " المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون في الأرض " (٢٨) .

عقائد القرامطة :

إن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه ، وغاية مقصدهم نقض الشرائع لأن سبيل دعوتهم ليس متعيناً في واحد بل يخلطبون كل فريق بما يوافق رأيه (٢٩) .

إن القرمطية تطبيق فعلي لمبادئ الإسماعيلية السرية فقد وجه عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية رسالة إلى سليمان بن سعيد الجنابي " أبو سعيد الجنابي " مؤسس دولة القرامطة في البحرين يقول فيها : " ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منهم رشدا ، فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا ، وأنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء ، وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا نعرفه . . . ويقول أيضاً مبطلاً المعاد والعقاب : إن الجنة نعيم الدنيا ، وإن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وأن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه ، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم (٣٠) .

إن الحركة القرمطية في حقيقتها تعبير حي وفعلي للعقائد الإسماعيلية، لهذا فقد أخذت هذه الحركة على عاتقها تنفيذ كل الأحلام التي كانت تحلم بها الإسماعيلية ، وهي إيجاد مجتمع يعتبر الدين خرافة ، والثواب والعقاب والمعاد أموراً لا تصدق ، ويرى في اللذة والإباحية والشيوعية الملجأ الوحيد له .

وهناك من يرى أن الحركة القرمطية نشأت بعيداً عن الحركة الإسماعيلية فلم يكن بينهما ارتباط أو تنسيق في المرحلة الأولى ، ثم تم التقائهما بعد نجاح الحركة الإسماعيلية ، وأصبحت الحركتان مرتبطتان مع بعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً ، وبلغ من قوة ارتباط الحركتين أن بعض المؤرخين نظر إليهما كحركة واحدة في أصولها ومعتقدها وأهدافها (٣١) ولكن المرجح أن الحركتين كانت منفصلتين عن بعضهما في النشأة والتكوين وملتقيتان في الأهداف وإلى حد ما في العقيدة .

وكانتا إذا التقت مصالحهما تتوحد الجهود والأهداف ، وإذا اختلفت المصالح يصل الأمر بينهما إلى حد القتال والحرب .

أولاً : معتقدهم في الألوهية والتوحيد :

يعتقد القرامطة بوجود إلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة : السابق ، واسم المعلول : التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي ، لا بنفسه .

وقد يسمون الأول عقلاً ، والثاني نفساً .

والأول تاماً ، والثاني ناقصاً .

والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ، ولا موصوف ولا غير موصوف فهم يومئون إلى النفي ، لأنهم لو قالوا : معدوم ، ما قبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيهاً (٣٢) .

وهي تعتقد أن العقل قد فاض وظهر عنه النفس الكلية أو " التالي " ، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المخلوقات والمبدعات ، ولكن بما أن العقل هو أول فيض ظهر عن الله فهو إذن أصل الإيجاد ، وإليه المبدأ والمعاد ، ولذلك سمي بالسابق .

ويبدو أن القرامطة تأثروا بنظرية الفيض في الفلسفة الأفلاطونية ، ولا عجب فقد تأثر الفلاسفة المسلمون بالفلسفة اليونانية القديمة وبعضهم أخضع الدين لهذه الفلسفة ووضعه في قوالبها .

وعلى هذا فالإله الخالق عند القرامطة ، قد يطلق على العقل ، وقد يطلق على النفس لأنهما - حسب مزاعمهم - سبب إيجاد العالم ، لذا يمكننا القول بأنهم يعتقدون بأمرين يخرجهما من حظيرة الإسلام ، وهما اعتقادهم باحتجاب الله في صور البشر ، والثاني قولهم بوجود الهين اثنين ، وهذا يعني إنكارهم وحدانية الله واعتقادهم بأن لله شريك في الخلق - تعالى الله عن ذلك - (٣٣) .

كما أنهم وضعوا على الله عز وجل شروطاً حتى يعبدوه ويقيموا له الصلاة ، وهو ما أعلنه أحد شعرائهم في جوابه إلى زوجته التي لامته على ترك الصلاة حيث قال :

تلوم على تركي للصلاة حليلتي ... فقلت أغربي عن ناظري أنت طالق
فو الله ما صليت لله مفلساً ... يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا أصلي ، أين ربعي ومنزلي ... وأين خيولي ، والحُلى والمناطق
أصلي . ولا فترٌ من الأرض يحتوي ... عليه يميني ؟ إني لمنافق
بلى . . إن عليّ الله وسّع لم أزل ... أصلي له ما لاح في الجو بارق

وكيف يصح لنا إعطاء الهوية الإسلامية لقوم ألّهوا العقل وجعلوا على الله عز وجل شروطاً حتى يعبدوه ويقيموا مناسكه ويطبقوا شريعته ؟ (٣٤) .

وقد أحدث القرامطة ديناً غير الإسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم على دينهم ، وقد كان لديهم كتاب جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة ، داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل . وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكريا . وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة يقول:

الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله . وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهي من المنزّل على أحمد ابن محمد بن الحنفية .

والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء ، والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتّخذ لأوليائه بأوليائه .

قل إن الأهلة مواقيت للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي . اتقونِ يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عمّا أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلوا عبادي ، وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذّب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتتمت أجلي ، وأظهرت أمري ، على ألسنة رسلي، وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذللته ،

وليس الذي أصره على أمره وداوم على جهالته ، وقالوا لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين : أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم (٣٥) .

ثانياً : معتقدهم في الوحي والنبوة والرسالة :

يعتقد القرامطة أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لأنه ملك ، وأن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل ، فسُمي : " كلام الله " مجازاً لأنه مركب من جهته .

وهذه القوة الفائضة على النبي لا تفيض عليه في أول أمره ، وإنما تتربى كنطفة (٣٦) .

وعلى هذا فهم ينكرون أن يكون الوحي من الله إلى الأنبياء عن طريق جبريل ، وإنما يرون أن جبريل تعني عملية الفيض التي تفيض من العقل على النبي باعتبار أن النبي أو الإمام هو ممثول العقل في العالم السفلي.

ويبدو أن هذا المعتقد كان تمهيدًا من القرامطة في محاولة لتشكيك الناس بصدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وصحة كتبهم وشرائعهم ، وفي رسالة عبيد الله إلى أبي سعيد الجنابي يبدو هذا الهدف واضحاً حينما يقول : " إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع والى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وإبطال الملائكة في السماء ، وإبطال الجن في الأرض ، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأن كان قبل آدم بشر كثير ، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم . . . وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ، ومناقضاتهم في

أقوالهم ، كعيسى ابن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ، ثم رفعها بتحريمه الأحد بدلاً من السبت ، وأباح العمل في السبت ، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ، ولهذا قتله اليهود لما اختلفت كلمته . . . ثم قال في رسالته : ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة - يقصدون محمدًا صلى الله عليه وسلم -، حين سألوه عن الروح فقال : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ (٣٧) ، لما لم يعلم ولم يحضر جواب المسألة ، ولا تكن كموسى في دعواه ، التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعوذة " (٣٨) .

ولعل إنكارهم للقيامة والجنة والنار يدل على أن هدفهم النهائي هو الوصول إلى نقض الشرائع وإظهار أن الأنبياء ليسوا إلا أشخاصاً اتخذوا المخرقة والحيلة للاحتيال على الناس وسلب عقولهم ، ولذلك ركزوا في مبادئهم على التشكيك في الغيبيات كالملائكة والجن والقيامة والجنة والنار ، حتى ينفذوا من خلال ذلك إلى أفكار الناس وعقولهم . وفي هذا يقول عبيد الله في رسالته : " . . . إلا أن صاحبهم - يقصد محمدًا صلى الله عليه وسلم - حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل ، وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور ، والحساب .

والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلاً ، وجعلهم في حياته ، ولذريته بعد وفاته خولاً . . . وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعد لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والحج والجهاد ؟ ويختتم رسالته بقوله للجنابي : وأنت واخوانك الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس ، فهنيئاً لكم ما نلتم من الراحة من أمرهم " (٣٩) .

ولذلك فان القرامطة مثلهم مثل الإسماعيلية يعتقدون بالتناسخ لإنكارهم القيامة ويزعمون : أن هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد

الحيوانات لا ينقضي أبداً ، وأولّوا القيامة بأنها رمز إلى خـــروج الإمـــام ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شئ إلى أصله .

ولا شك أن غرضهم من هذه المعتقدات والتأويلات ، انتزاع الإيمـان بهذه الأمور من نفوس الناس ، حتى تبطل الرغبة بها والرهبة منها ، فيسهل حينئذ لأمثال هؤلاء الدخول إلى أفكار الناس وعقولهم ، فقد أحلـــوا جميـع المحرمات ، وهدموا المساجد ، ولم يبقَ للديـــن أو الفضيلـــة أي أثـــر فـــي مجتمعهم الذي أقاموه في البحرين (٤٠) .

ثالثاً : معتقدهم في الإمامة :

إن جميع الحركات الباطنية وجميع الدعوات التي رفعـــت لافتـــات الولاء لآل البيت النبوي الطاهر استهدفت في السر أو في العلانيـــة انـــتزاع المبادرة السياسية من أسرة بني أمية وبعض هذه الحركات والدعوات حافظت على الاعتدال في نظرياتها المذهبية ، وبعضها انطلقت إلـــى أبعـــد حـــدود التطرف والمغالاة . ويمكن القول أن الزيديين أنصار زيد بن علي الملقـــب بزين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومركـــز تجمعهم باليمن هم في الطرف المعتدل ، وذلك أن ولاءهم لآل البيت النبـــوي لم يمنعهم من القبول بالخليفة المفضول مع وجود الأفضل ، ولو كـــان الأول من غير آل البيت والثاني من آل البيت .

وإنه مما لا شك فيه أن الدعوة إلى إمامة أحد أبناء البيت النبوي لـــم تكن في الواقع إلا " الطعم الديني " الذي توسل به أصحاب المذاهب الباطنية لاستدراج البسطاء من الناس إلى موالاتهم والانخراط في تنظيماتهم السرية ، وهي تنظيمات في غالبها إلحادية وعنصرية في آن واحد (٤١) .

ويعتقد القرامطة أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القـــرآن والأخبـــار ، وأنـــه

يساوي النبي في العصمة ، ولا يتصور في زمان واحد إمامان ؛ بل يستظهر الإمام بالدعاة ، وهم الحجج (٤٢) .

ترتيب القيادة والدعاة :

يختار القرامطة دعاتهم بعناية فائقة ويكونون ممن يسمعون الإرشادات ويطيعون الأوامر إطاعة تامة وينفذونها بما يتفق وروح الدعوة التي يدعون إليها ، وتتمثل ترتيبات القيادة بالآتي :

١- الإمام :

وهو يمثل القيادة العليا المطلقة ، وهو أعلى سلطة وأرفعها في الدعوة وهو مصدر كل قانون ، أو تنظيم أو تشريع وقد أحاطوه بهالة من التعظيم والقداسة وجعلوه المظهر الأول والمثل الأعلى وخصّوه بالاختصاصات التي تجعله " ظل الله في الأرض " واستكمالاً للفائدة فإننا نعرض بعض هذه الاختصاصات :

أ- **الإمام المقيم** : وهو الذي يقيمه الرسول الناطق ويربيه ويدرجه في مراتب رسالة النطق ويُنعم عليه بالإمدادات ، وأحياناً يطلقون عليه اسم " رب الوقت وصاحب العصر " وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها وأدقها من الناحية السرية .

ب- **الإمام الأساس** : وهو الذي يرافق الناطق في كافة مراحل حياته ويكون ساعده الأيمن وأمين سره والقائم بأعمال " الرسالة " الكبرى وهو الذي ينفذ الأوامر العليا ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية، وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية القائمة على الطبقة الخاصة ممن عرفوا التأويل ووصلوا إلى العلوم الإلهية العليا . والدور عندهم ينقسم إلى قسمين : دور كبير ودور صغير ، فالكبير يبدأ بآدم وينتهي عند قيامة " قائم آل البيت" والصغير هو دور الأئمة السبعة المعروفين عندهم .

ج- **الإمام المتمم** : وهو الذي يُتمم أداء الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به الأئمة السبعة والإمام المتمم يكون سابقاً ومتمماً لرسالة الدور وإن قوته تكون

معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم . وهذا الإمام يطلق عليه اسم : " ناطق الدور ".

د- **الإمام المستقر** : وهو الذي يملك صلاحيات توريث الإمامة لابنه من بعده ، وهو أيضاً يملك النص ، بالوصية أو التعيين ، على الإمام الذي يأتي من بعده . وهو يُسمى أيضاً " الإمام بجوهره المستلم شؤون الإمامة فعلاً والقائم بأعبائها أصالة " .

هـ - **الإمام المستودع** : وهو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف والأدوار الاستثنائية وهو الذي يقوم بهذه الشؤون نيابة عن الإمام المستقرّ ، ولكنه لا يستطيع توريث الإمامة لأبنائه ، ويطلق عليه أيضاً اسم " نائب الغيبة " ومقامه مقام النطق " بالكلمة " ورئاسة " الدعاة " (٤٣) .

٢- الحجة أو الباب :

تلي رتبة الإمام مباشرة ، فالحجة هو نائبه ، كما أنه ظل الإمام لا يفارقه ، فلا إمام بدون حجة ، ولا حجة بدون إمام .

والباب اسم يطلق على الحجة ومعناه أنه باب سر الإمام المباشر ومستودع أعماله . في أكثر الأوقات يشغل هذا المنصب نجل الإمام الذي يقع عليه الاختيار للإمامة .

٣- داعي الدعاة :

هو رئيس الدعاة المباشر والمسؤول الأول أمام الحجة عن توزيعاتهم ومدى نجاحهم في الأقاليم والجزائر ، وعن ترتيبهم وثقافتهم وصلاحهم وسلوكهم ، وعن شؤون مؤلفاتهم وعلومهم وثقافتهم وتعيينهم وانتقائهم ، كما أنه المسؤول الأول عن ترتيب دعواتهم المصغرة في الأقاليم .

٤- داعي البلاغ :

هو المسؤول الأول عن تبليغ الأوامر التي يرسلها داعي الدعاة إلى الأقاليم وعن سريتها ووصولها ، ويعتبر رئيس القلم والأمين العام ومحرر

الرسائل وكاتب البلاغات ومستلم الرسائل الواردة ، والذي يؤمن كل شيء إلى محله وبحينه .

٥- الداعي المطلق أو النقيب :

وهو صاحب المرتبة التي تمنحه الصلاحية بالسفر إلى الأقاليم التي يراها بحاجة إليه ولا يخضع ذهابه إلى رأي أحد ، وهذا الداعي يكون مرتبطاً لداعي الدعاة مباشرة ، ويستمد منه العلوم ويطلق عليه " نقيب " أيضاً و " ذو مصة " لأنه يمتص العلم من داعي الدعاة كما يمتصه داعي الدعاة من الحجة ، والحجة من الإمام . . . وفي بعض الأدوار يطلق عليه " ذو مصتين " وهي رتبة ثانية أعلى من " ذي مصة " .

٦- الداعي المأذون :

مرتبته أدنى من مرتبة الداعي المطلق ، ويخضع إلى ترتيباته ، ويأخذ عنه العلوم التي رتبها في الأقاليم ، وأن ذهابه وتنقلاته في الجزر يحتاج إلى مأذونية من داعي الدعاة .

٧- الداعي المحصور :

أقل قيمة من الداعي المأذون ، ويعتبر مسؤولاً أمام الداعي المطلق عن شؤون التبليغ في منطقة معينة لا يتعداها . . . أي أنه محصور في منطقة معينة لا يستطيع الانتقال منها إلا بعد أخذ مأذونية من داعي الدعاة .

٨- الجناح الأيمن :

٩- الجناح الأيسر :

هذان الحدان ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق ، فهما جناحاه يقدمان له الخدمات في أثناء جولاته في الأقاليم للدعاية ويطلق القرامطة عليهما أحياناً " اليد " وجمعها " الأيادي " ، أي أنهما يقدمان الخدمات للداعي كما تقدم اليد الخدمات للجسم ، وهذان لهما مهمتان صعبتان ، فإن عليهما أن يذهبا مسبقاً إلى البلد التي يقرر الداعي الذهاب إليه فيدرسان أوضاعه السياسية والعلمية والأدبية وحالة ندواته ومدارسه وطبقات أهله وعلمائه

وشعرائه ونفسياتهم ونواحي القوة والضعف لديهم وميولهم وأديانهم وما هم عليه من المكانة الاجتماعية ، وبعد أن يدرسا كل شيء عن البلد يعودان إلى الداعي المطلق ويقدمان له تقريرهما فينتقل الداعي المطلق إلى البلد المقرر على ضوء تقريرهما ، بينما ينتقل الجناحان إلى البلد الثاني المقرر زيارته (٤٤) .

١٠- المُكاسر :

تعطى رتبة المكاسر لكل " مكالب " تفقّه في الدعوة ووصل إلى مدخل الفلسفة فأصبح له القوة على المجادلة وخاصة في أوساط الجمهور والعامة الذين يُفترض فيهم أن لا يعرفوا العلم وخاصة الشريعة التي هي مدخل إلى العلوم الفلسفية . ووظيفة.المكاسر تابعة مباشرة لداعي الدعاة .

١١- المُكالب :

هي أعلى من رتبة " المستجيب " ووظيفة المُكالب ، هي التجسس واستقاء الأخبار التي لها صلة بالدعوة القرمطية ، ثم امتصاص الأفراد الذين عندهم قابلية للدخول في هذه الدعوة ليتسنى قبولهم عند داعي الدعاة .

ويجب على المُكالب أن يكون حافظاً علم الهيئة أي علم النفس ، وذلك ليتعرف على كل شخص بمفرده والتفرّس فيه لمعرفة مدى تحمله للأسرار التي تعطى إليه ، ثم لتصنيف هؤلاء الأشخاص في المراتب التي يُتوسم فيهم استحقاقها وقدرتهم على تأدية الخدمات عبرها.

وكثيراً ما شبهوا " المكالب " بكلب الصيد الذي يركض أمام الصياد لجلب الطرائد وإحضارها إليه غنيمة باردة .

١٢- المستجيب :

هي أول رتبة يصل إليها المنتسب حديثاً إلى الدعوة القرمطية . . . ومن المفروض اختيار المستجيب من أصحاب الفهم وأن يكون متمتعاً بالرجولة وأن يكون حسن المظهر وذا هيبة في شخصيته ، وأن يكون من

أهل الكلام الجيد والصوت الحسن ، بحيث يكون له تأثيره على الذين يستمعون إليه ، وأن يفرض احترامه على من حوله في المجتمع ومختلف الأوساط الأهلية (٤٥) .

ولما كان للقرامطة في الدعوة مراتب ، كذلك لهم في إلحادهم مراتب فأول ذلك زعمهم أن الولاية أفضل من النبوة ، والنبوة أفضل من الرسالة ، وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الوالي

وهذا مما يبوحون به لعوامهم ، ويناظرون الناس عليهم ، ويقولون ولاية النبي أفضل من نبوته ، ونبوته أفضل من رسالته ، لأن ولايته اتصاله بالله ، والنبوة إخبار الحق له والرسالة تبليغه للناس ، والأول أرفع . ويقولون : إن الولاية باقية إلى يوم القيامة ، وتلك الولاية بعينها التي كانت للرسول هي باقية في أمته (٤٦) .

رابعاً : معتقدهم في القيامة :

لا يعتقد القرامطة بيوم القيامة وقالوا : هذا النظام ، وتعاقب الليل والنهار ، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبداً . وأوّلوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام . ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار . ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله .

قالوا : فجسم الآدمي يبلى ، والروح إن صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ، استعدت بالعود إلى وطنها الأصلي ، وكمالها بموتها ، إذ به خلاصها من ضيق الجسد . وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الأئمة المعصومين ، فإنها أبداً في النار ، على معنى أنها تتناسخ في الأبدان الجسمانية ، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ كُلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ (٤٧) .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية والفلاسفة في الباطن والروافض في الظواهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس حتى تبطل الرغبة والرهبة (٤٨).

خامساً : معتقدهم في التكاليف الشرعية :

يعتقد القرامطة استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ولو ذكر لهم هذا لأنكروه وقالوا : لا بد من الانقياد للشرع على ما يفعله الإمام ، فإذا أحاطوا بحقائق الأمور انحلت عنهم القيود والتكاليف العملية ، إذ المقصود عندهم من إعمال الجوارح تنبيه القلب ، وإنما تكليف الجوارح للغمر الذين لا يرضون إلا بالسياقة . وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك . ومعنى الغسل تجديد العهد على ما فعل من ذلك . والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد .

والاحتلام أن يسبق الإنسان إفشاء السر في غير محله .

والصيام والإمساك عن كشف السر .

والمحرمات عبارة عن ذوي السر .

والبعث عندهم الاهتداء إلى مذاهبهم .

ويقولون : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ (٤٩) الذكر الإمام ، والحجة الأنثى .

وقالوا : ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ (٥٠) أي يظهر محمد بن إسماعيل .

وفي قوله : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ (٥١) قالوا : الميتة : الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت إلى التأويل .

وقالوا : إن الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة يترددون في هذه الصورة ، ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح :اللهم إني

أُبرأُ إليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللـــهم لا تجعلنـــي مـــن المذبوحين (٥٢) .

ومن شرائع القرامطة أن الصوم يومان في السنة ، وهما المـــهرجان والنيروز ، وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، ولا يؤكل كل ذي ناب ، ولا كل ذي مخلـــب ، وأن مـــن حارب القرامطة وجب قتله ، ومن لم يحاربهم ، وخالف شريعتهم أُخذت منـه الجزية (٥٣) .

سادساً : معتقدهم في المال والنساء :

الشيء الذي اتصف به القرامطة عن الإسماعيليين جرأتـــهم علـــى إشاعة النساء والمال وبذلك استطاعوا أن يجمعوا حولهم أصحاب الشـــهوات والمراهقين وأسافل الناس (٥٤) .

فرض حمدان على كل عضو من أعضاء المذهب الجديد ديناراً فـــي كل سنة للإمام المحجوب ، ثم فرض القرامطة ضريبة كانت تعرف عندهـــم " بالفطر " وهي درهم كان يؤديه جميع القرامطة بدون اســـتثناء وضريبـــة أخرى تعرف " بالهجرة " وهي دينار كان يؤديه كل بالغ وبالغة لينفـــق فـــي محله على حاجات " دار الهجرة " فكانوا يؤدونها عن طيبة خاطر حتـــى إذا عجز أحدهم عن تأديتها أداها عنه غيره راضياً مسروراً .

ثم عرض على من أحب ممن دخل في دعوته أن يـــؤدي ضريبـــة أخرى سماها " البلغة " وهي ضريبة خاصة كان يؤديها كـــل مـــن أراد أن يشترك في " عشاء المحبة " أي أن يأكل من " خبز الجنة " أو " غذاء أهـــل الجنة " الذي كان يأتيه من إمام الزمان تواً .

ثم دعاهم أن يؤدوا لدار الهجرة خُمس ما كانوا يملكون أو يكتســبون فلبوا دعوته راضين ثم قدروا أملاكهم ودفعوا عنها الخُمس فرحين حتى كنت ترى المرأة تقدم للداعي خُمس غزلها والفاعل خُمس أجرتـــه فكـــانت هـــذه الضريبة قسطاً يدفعه الشخص إلى صندوق الأخوية كعضو فيها إلا أنه لـــم

يكتف بهذه الضرائب بل أمر أهل القرى التي دخلت في دينه أن يحملوا إلى محل واحد كل ما يملكون ، فلما جمعوه جعله مشاعاً بين الأعضاء يتولى توزيعه رجل منهم ذو ثقة فكان يجمع ما كان يحضره الأعضاء من أثاث وحلى وثياب ومأكولات ومال ثم يوزعه على المحتاجين من القرامطة حتى لم يبق بينهم فقير فكنت ترى الرجال منهم يشتغلون برغبة ونشاط والنساء يحملن إلى " بيت الجماعة " ما كن يكسبنه من المال بالغزل حتى أن الأولاد الصغار أنفسهم كانوا يقدمون إلى مدير البيت ما كانوا يأخذونه من الجعالة من أصحاب البساتين " التي كانوا يحرسونها في النهار ويطيرون الطير عن أشجارها وبقولها " حتى لم يعد أحد يملك لنفسه إلا " سيفه وسلاحه " وهذا ما أطلق عليه اسم (الألفة) (٥٥) ..

ولما استقام الأمر لحمدان ، أمر أتباعه بأن يجمعوا النساء في ليلة عينها ويخلطهن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وزعم أن هذا من صحة الود والألف .

وكانت الإباحية منتشرة بين أتباع القرامطة في اليمن حيث عمل ابن الفضل على إفشاءها بين اتباعه .

وقد كان هدفهم النهائي ، هو الإباحية المطلقة وهدم كل القيم والأخلاق الفاضلة ، وبالتالي التخلي عن كل الروابط الأسرية ، " ويؤيد هذا ما أمر به الجنابي أتباعه في دولة البحرين ، بإقامة ليلة سماها (ليلة الإفاضة) ، يجتمع خلالها الرجال والنساء ، وتطفأ الأنوار ويمارسون الجنس دون تمييز بين المحللات والمحرمات " .

ويضاف إلى ذلك ، أن المؤمن عند القرامطة لا يكمل إيمانه إلا إذا رضي التشريق ، " وهو أن يدخل الرجل إلى حليلة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ، ثم يخرج ويبصق في وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول له : تصبر ، فإذا صبر عُد كامل الإيمان وسمي من الصابرة ، وقد ضرب أبو

سعيد الجنابي مثلاً بنفسه حينما أدخل امرأته على يحيى المهدي ، وأمرها أن لا تمنعه إذا أراد ، بل وصل الأمر بمن جاء بعده أن أباح اللواط ، وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع عمن يريد الفجور به .

ومما جاء في رسالة عبيد الله للجنابي هذه الإباحية قوله : " وما العجب من شيء كالعجب ، من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه ، وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي ، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم - يقصد النبي صلى الله عليه وسلم - حرم عليهم الطيبات " .

وهكذا صار مجتمعهم مجتمعاً إباحياً لا يعترف بالدين ولا بالفضيلة يقوم على إباحة كل شيء .

ولكنهم حاولوا الدفاع عن أنفسهم وذر الرماد في العيون ، فحينما أرسلت الخلافة العباسية سفارة إلى القرامطة في الأحساء واتهمتهم باتهامات عدة ، أجاب زعيمهم سعيد بن أبي سعيد قائلاً : " إن أهل البحرين بغوا علينا، وغدروا بنا وقالوا : إنّا نشترك في أزواجنا ، ونرى الإباحة وتعطيل الشريعة وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون ، وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام " (٥٦) .

وقد رد أبو سعيد الجنابي أهل الأحساء عن الإسلام ، وقال : إني أعفيتكم من الصلاة والصوم . . . فهم لذلك لا يصلون ولا يصومون ، وليس في مدينة الأحساء مسجد جمعة ، ولا تقام بها صلاة ولا خطبة . . . وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها ، ويوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري ، وهم يسمنون الكلاب هناك ، كما تعلف الخراف ، حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها (٥٧) .

إن المناطق التي ظهرت فيها القرامطة ، كانت في سواد الكوفة وبادية الشام ، ومنطقة الأحساء والبحرين والجزيرة العربية ، وسواد الكوفة كان يغص بالفلاحين والمزارعين والفقراء ، وأما البادية والأحساء ، فكانت مناطق معروفة لقبائل البدو ، لذا فقد استغل القرامطة وضع الفلاحين والبدو الاقتصادي ، واستفادوا منه في اصطيادهم والتغرير بهم ، أما الفلاحون فقد كان أكثر سواد الكوفة منهم ، وهم من الفقراء الذين تركوا أهاليهم وزوجاتهم، وجاءوا للعمل عند ملاكي أراضي سواد الكوفة ، " فاجتمع في هذه المنطقة جماعات كثيرة معظمها من الشباب الذين هم في سن العمل ، أو ممن لهم تطلعات نحو النساء ، وقد ابتعدوا عن أزواجهم إن كانوا من الذين سبق لهم أن تزوجوا ، وابتعدوا عن رقابة مجتمعاتهم ، ووجدوا في أنفسهم عاطفة إلى الأهل والوطن ، فانقلبت هذه العاطفة إلى الرغبة في الجنس ، لتحل محلها ، أو تفكير في إيجاد الأهل وبناء الأسرة ، ولما لم تكن لديهم الإمكانات الكافية للزواج وبناء الأسرة ، فقد انقلب هذا الفقر أو الضعف إلى حقد على الأغنياء أو أصحاب الأرض ، وأهل الفتيات ، وحصلت رغبة جامحة في الحصول على الفتيات والنساء بأي شكل وأية طريقة ، وكان الجهل يطغي على أكثر أولئك الزراع ، الأمر الذي يجعل الوازع عندهم ضعيفاً فيمكن إيقاعهم في الحبائل ، وجعل النساء لهم شركاً عظيماً يندفعون ورائه ليحققوا رغباتهم ، ويؤمنوا شهواتهم لذا كانت النساء المصيدة الأولى لهم ، والسلاح الماضي الذي استعمله القرامطة " .

أما قبائل البدو ، فقد كان أفرادها بحاجة إلى المال لتأمين بعض الحاجيات الضرورية ، الأمر الذي جعلهم ينظرون إلى المال على أنه غاية بحد ذاته ، فوجدوا في حركة القرامطة ملاذاً يلوذون بها للوصول إلى المال، عن طريق القتل والنهب ، وكذلك فالوازع الديني عندهم كان ضعيفاً لجهلهم، فالجهل والفقر مع غياب الإيمان يعدان من أكبر العوامل التي تجعل الإنسان

يسير وراء كل ناعق ، أو مع كل متاجر بالألفاظ من أجل الإصلاح أو الخير - حسب زعمهم - لتجد النفس لها المسوغ .

لذا كانت هذه النماذج كلها ، الشباب ذوو الطاقات ، والفقراء أصحاب الإمكانات ، والأعراب المتقلبون ، مع الجهل الذي يجمعهم جميعاً ، كانوا هم عماد الحركة القرمطية ، بل أساس كل ثورة تمنيهم ، وتلوح لهم بالحاجات التي يسعون إليها ، فهي العلف الذي يقدم لهم ويركضون وراءه ، ويسيرون حسب حركته كالسوائم من القطيع تتحرك وراء قبضة العشب ، وما على المستغلين إلا أن يوجهوهم .

وسائل القرامطة في استدراج أتباعهم :

لدعاة القرامطة طرق وأساليب ووسائل خبيثة ماكرة في استدراج الناس نحو أفكارهم وهي :

١- التفرس : فمعناه أن يكون الداعي فطناً ذكياً يميز بين من يمكن استدراجه ومن لا يكون قادراً على تأويل النصوص والإيهام بأن لها باطناً لا يعرفه كل أحد ، كما يكون قادراً على أن يقدم لكل واحد ما يتفق مع مزاجه وميله ومذهبه . فهم يجتذبون الناس كل على قدر علمه ودينه ومذهبه.

٢- التأنيس : فهي أن يجتهد الداعي في التقرب إلى من يدعونه والتظاهر له بالتنسك والتعبد ، والمواعظ الرقيقة ، والتبشير بأن الفرج منتظر .

٣- التشكيك : فهي أن يجتهد الداعي في تغيير اعتقاد المستجيب ، وذلك بالأسئلة عن الحكمة في مقررات الشرع ، وغوامض المسائل ، ومتشابه الآيات ، وأسرار الأرقام في مثل قوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ﴾ (٥٨) ، ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (٥٩) ، ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ (٦٠) ، وإظهار بعض متشابه القرآن ، ومشكلات المسائل الشرعية ، وبهذا يثير الداعي القرمطي حب الاستطلاع عند المدعو

والوقوف على ما عنده من العلم ويشكك المدعو في دينه وعقيدته ليسهل بعد ذلك تسميم أفكاره وعقيدته .

٤- التعليق : فتكون بأن يطوي عنه سر هذه الشكوك ، ويوهمه بأنه يملك حقيقتها ويعرف كنهها ، ولكن لا يمكن البوح بها لكل أحد ، ولا في كل حين، بل لا بد من عهود ومواثيق على من يريد معرفة هذه الأسرار ، ويتركه هكذا معلقاً .

٥- الربط : فيأتي بعد التعليق ، بأن يربطه بأيمان مغلظة ، وجهود مؤكدة، لا يجسر على المخالفة لها بحال (ومن اطلع على نسخة العهد يقشعر بدنه لهذا الإرهاب الذي ينطق به).

٦- التدليس : فيكون بالتدريج في بث الأسرار إليه بعد أن ربطه بالأيمان والعهود المؤكدة إذ يأخذ في إطلاعه على قواعد المذهب شيئاً فشيئاً ، يوهمه أن لهذا المذهب أتباعاً كثيرين ، ولكنه لا يعرفهم ، بل له أن يسمي بعض المرموقين الذين يقتدي بهم (على شرط أن يكون في بلاد أخرى لا يمكن مراجعتهم) مدعياً له أنهم على نفس مذهبه (٦١) .

٧- التلبيس : فتكون بالاتفاق على بعض المسلمات ، والقواعد البديهية ثم يستدرجه منها إلى نتائج باطلة ، وذلك بعد أن يكون قد أسلم له قياده (٦٢) .

وهنا يقرر أن القرامطة يقررون أن الأنبياء سبعة ، والأسس سبعة ، وأن محمد - صلى الله عليه وسلم - كان السادس من الأنبياء ، وأن السابع كان محمد بن إسماعيل ، لأنه هو المنتهي إليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه تفسيرها ، فهذه درجه أخرى قرر بها الداعي عند المدعو نبوة نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وسهل بها طريق النقل عن شريعته . . . فكانت هذه الدعوة أول ما أخرج الداعي بها المدعو من شريعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأدخله في جملة الكفار والمرتدين عن شريعته (٦٣) .

٨ ، ٩ - الخلع والسلخ : وهما بمعنى واحد إلا أن الخلع يختص بالعمل فإذا أسلم المستجيب قياده وبدأ العمل والتنفيذ لما يريده منه القرامطة ، يكون قد انخلع عن مجتمعه ، ووصل إلى درجة الخلع ، وأما السلخ : فيختص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين واعتقاد فلسفة المذهب قلباً وإيماناً بعد أن أخذها منهجاً وعملاً (٦٤) .

وهنا يقررون أن للعالم مدبرين اثنين هما السابق والتالي ، أحدهما أسبق من الآخر . وهنا انسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة ، لأن الأنبياء حسب زعمهم ، أنبياء سياسات وشرائع . بعد هذه المرحلة ينسلخ النصير من مذهبه ليتبنى مذهب القرامطة وآراءهم وحينئذ فقط يصبح النصير عضواً في الدعوة (٦٥) .

وعن كيفية إيقاع القرامطة بالناس روى الشيخ محمد بن مالك اليماني فقال (٦٦) : (إن للقرامطة نواباً يسمونهم الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين تشبيهاً لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل بكلمة حق يراد بها الباطل ، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه .

فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرفة ، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن موضعه.

فإذا رأوا منه الانهماك والركوع والقبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترضَ لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبير القرآن ورموزه ، واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرموز والاشارة دون

التصريح في ذلك في العبارة ، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم ، لا ينتفع به صاحبه فاسأل وابحث .

فيقول : عم اسأل ؟

فيقول : قال الله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (٦٧) ، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك الصلاة : من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، فأيضاً الصلاة والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان ، والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن ، يدل على ذلك : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ (٦٨) ، و﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ (٦٩) ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ؟ فالظاهر ما تساوي به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ، فلا يعرفه إلا القليل ومن ذلك قوله : ﴿ وما آمن معه إلا قليل﴾ (٧٠)، وقوله: ﴿ وقليل ما هم ﴾ (٧١) ، وقوله : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ (٧٢) ، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم .

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعليّ صلى الله عليهما ، لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعليّ ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة .

فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنه مذهب الراحة والإباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله .

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ، ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هذا

الإصر ، فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعي : يا مولانا ، إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الإصر ، وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً .

فيقول : اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ، ويقرأ له : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (٧٣) .

فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ، ويقولون : الحمد لله الذي وضع عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك .

ثم يقول له ذلك الداعي الملعون بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث .

فيقول : عم اسأل ؟

فيقول له : سل عن الخمر والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمر ، لمخالفتهما على عليّ وأخذهما الخلافة دونه . فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الأرض . ويتلو عليه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ (٧٤) إلى آخر الآية .

ويتلو عليه : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ (٧٥).

والصوم : الكتمان ، فيتلو عليه : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (٧٦) ، يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين . ويتلو عليه : ﴿ إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ (٧٧) . فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً فدل على أن الصيام الصمت .

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمّارة بالسوء .

ثم يقول له : ادفع النجوى ، تكون لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يدع عنك الصوم .

فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيمضي به إليه ، فيقول : يا مولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل في رمضان .

فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟

فيقول له : نعم .

فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة .

فيأتيه ذلك الداعي الملعون ، فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ما هي في التأويل .

فيقول : فسّر لي في ذلك .

فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد الأنبياء والأئمة ، فأما المني فليس بنجس ، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً ، وهو مبدأ خلق الإنسان ، وعليه يكون أساس البنيان ، فلو كان التطهير منه من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وإنما معنى ﴿ وان كنتم جنباً فاطهروا ﴾ (٧٨) ، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح ، كالماء الذي هو حياة الأبدان ، قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (٧٩) ، وقوله : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ﴾ (٨٠) . فلما سماه الله بهذا دل على طهارته .

ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً ، ويقول : يا مولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه إليك .

فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة .

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات ، وبقي عليك الخامسة ، فاكشف عنها ، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ، ويتلو عليه : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ (٨١) .

فيقول له : ألهمني إياها ، ودلني عليها .

فيتلو عليه : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ (٨٢) .

ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟

فيقول : فكيف لي بذلك ؟

فيتلو عليه : ﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ (٨٣) .

ويتلو عليه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ (٨٤).

والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ (٨٥) . والزينة مستورة غير مشهورة .

ثم يتلو عليه : ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ (٨٦) ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الآخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب ، وأهل العقول دون الجهال لأن المستجن من الأشياء ما خفي ، ولذلك سميت الجنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس ، والجنة المقبرة لأنها تستر من فيها ، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة هاهنا ما استتر عن هذا الخلق المكنوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول .

فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني ما شوقتني إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثني عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً .

فيمضي به فيقول : يا مولانا ، إن عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام ، وتزوجه الحور العين .

فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟

فيقول : يا مولانا ، قد وثقته ، وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ولأنعمك شاكراً .

فيقول : علمنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به إلى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها !

فيقول : سمعاً وطاعة لله ولمولانا .

فيمضي به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس .

فيشكر ذلك المخدوع ، ويدعو له !

فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده ، تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون .

ثم يقول له : لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك .

فيدفع اثني عشر ديناراً ، ويصل به ، ويقول : يا مولانا ، إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه .

حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السراج والشموع ، واخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في

يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين .

فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له ، فيقول : ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ، ووضع عنكم أوزاركم وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم الذي حرم عليكم جهالكم : ﴿ وما يُلقاها إلا الذين صبروا وما يُلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (٨٧) .

دولة القرامطة في الأحساء والبحرين

ساعدت ظروف انحلال الخلافة العباسية وسوء أوضاع الطبقات الشعبية على انتشار الدعوة الإسماعيلية بسرعة غريبة حتى لم يبق عمل أو مقاطعة في الدولة إلا وتأسست فيها خلايا سرية ، منها الخلية القرمطية في العراق والبحرين التي نيط بدعاتها نشر الدعوة بين الجماهير العامة والخاصة .

بدأ القرامطة ، وهم الجناح الأكثر ثورية وإخلاصاً وأمانة لمبادئ الإسماعيلية ، عملهم التنظيمي السري في العراق والبحرين في ظروف وأوضاع ومناخات ملائمة لاتساع حركتهم ونجاحها .

فعلى صعيد الوضع الاقتصادي لدولة الخلافة العباسية ، توسعت الزراعة والتجارة ، وتعمق التقسيم الاجتماعي للعمل بانفصال الحرفة نهائياً عن الزراعة ، وبنمو الإنتاج السلعي وتطور الاقتصاد النقدي مما أدى إلى قيام طبقة من أصحاب الثروات الطائلة والأراضي الواسعة بجانب طبقة كبيرة جداً من الفقراء المعدمين .

وعلى صعيد الوضع السياسي ، ضعفت قوة السلطة المركزية وتجزأت الدولة ونشأت إمارات إقطاعية وراثية مستقلة في الولايات التي انفصلت عن الحكومة المركزية ، وازداد نفوذ الأتراك وسيطرتهم على الدولة وتسلطهم على الخلفاء حتى فقدوا سلطاتهم الفعلية . واهتز جلال

السلطان وتداعت هيبة الخلافة وأصبح البلاط مسرحاً لدسائس وصراعات رهيبة حول السلطة ، أدت فيما بعد إلى قتل أربعة خلفاء* في الفترة الواقعة بين ٢٤٧ - ٢٥٦هـ (٨٨) .

ظهرت الدعوة القرمطية في سواد الكوفة عام ٢٦٤هـ ، على إثر اللقاء الذي تم بين حسين الأهوازي ، أحد دعاة الإسماعيلية ، وحمدان بن الأشعث ، الملقب بالقرمط وفي هذا اللقاء قال الأهوازي لحمدان : (أمرت أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها واستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابها) (٨٩).

وانتشرت الدعوة القرمطية بين أوساط الفلاحين والعمال من أهل السواد ، وأقبل على اعتناقها وتأييدها أعراب البادية المحيطة به . وكان اقتصاد السواد يعتمد أساساً على جهود الفلاحين والعمال . وكان الفلاحون يئنون من ضغط الجباة وإسراف الإقطاعيين في استغلالهم واستحواذهم على عائد كدحهم - فائض العمل . وقد وصف المقدسي معيشة فلاحي السواد بالبؤس والفاقة وذكر أن أغلبهم من النبط (٩٠) . ومما زاد وضعهم سوءاً الخراب الذي خلفته حرب الزنج ٢٥٥ - ٢٧٠هـ . وأتت الجوائح على التناء (الزراع) ورقت أحوالهم ولم يجد الكثير منهم بداً من الفرار إلى المدينة والاشتغال بالمهن ، كما استكان البعض الآخر للظلم على مضض وتحولت البقية الباقية إلى مجرد أجراء ، وفي ذلك يقول مسكويه (٩١) : (وصاروا بين هارب حال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره وبوائقه) . لهذا كان السواد التربة الخصبة لغرس الأفكار القرمطية ونموها. واستطاع حمدان بذكائه ودهائه أن يكسب أهل السواد إلى دعوته . وانتشرت الدعوة كذلك بين الحرفيين وعوام

---

* هم المتوكل قتل سنة ٢٤٧هـ والمستعين قتل سنة ٢٥٢هـ . والمعز قتل سنة ٢٥٥ والمهتدي قتل سنة ٢٥٦هـ .

المدن (٩٢) وكان مستوى معيشة هذه الفئات منخفضاً ، حتى أن الدمشقي يصفهم بأنهم أكثر الأحرار فقراً (٩٣) وكان عمال المدن أكثر وعياً بالمسألة الاجتماعية ، لما انطوت عليه طبيعة العمل بالمهنة الواحدة من ترابط وتماسك ، وبحكم تجمع المهن والصناعات بمكان واحد في المدينة وتنامي الشعور بوحدة مصالحهم الطبقية . لذا سعى القرامطة لكسب العمال إلى جانبهم وتنظيمهم واختيار النشطاء منهم دعاة في نشر الدعوة .

وفشت الدعوة أيضاً بين أعراب البوادي المتاخمة للكوفة ، حيث كانوا مضرب الأمثال في الفقر ، فلما قال بدوي : الغناء زاد المسافر ، علق عليه بعضهم بأنه يقول ذلك لأنه لا يعرف خبز السميد ولا شواء باب الكوخ ببغداد ولا الخضر والفالوذج المصري ولهذا استجاب العبيد وجفاة الأعراب في بادية السماوة لدعاة القرامطة (٩٤) .

ولقد لعب الدعاة القرامطة دوراً نشيطاً في نشر الدعوة الإسماعيلية في العراق ومنطقة الخليج واليمن وبلاد الشام وغيرها من بلدان الخلافة .

أفاد القرامطة من ضعف المكتفي ٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ -٩٠٨م، الذي خلف المعتضد فقاموا بالهجوم عليه من الشام والعراق ومن البحرين واليمن حتى لم يعد في وسع الحكومة المركزية أن تراقب حركات الإسماعيلية في كل الجهات وتخمد ثوراتها في الولايات البعيدة فصارت هذه تنفصل عن خلفاء بغداد وتؤلف دويلات مستقلة .

وفي بادية السماوة وبلاد الشام ، تزعم الثورة زكروية بن مهرويه وأهل بيته ٢٨٩ - ٢٩٤هـ ، حيث لجأ أولاده إلى استغلال الأوضاع الاجتماعية السيئة في بادية السماوة لجذب الناس إليهم ، فأثاروا الفقراء على الأغنياء مما أدى إلى حدوث اضطرابات اجتماعية .

وكان ابتداء ظهور الحركة القرمطية في البحرين حوالي سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م وذلك عندما وفد إلى المنطقة رجل يُعرف بيحي بن المهدي الذي قصد القطيف ونزل ضيفاً على علي بن المعلى بن حمدان ، وقد

أظهر له يحي أنه رسول المهدي وأن مهمته الطواف في البلاد للالتقاء بأنصار المهدي وشيعته ليدعوهم إلى أمره ، ويبشرهم بقرب ظهوره . وكان أن توجه ابن المعلى إلى أهل القطيف ، فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب الذي كان يحمله رسول المهدي . كذلك فعل مع بقية قرى البحرين فأجابوه (٩٥) وكان فيمن أجابه أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي الذي كان يبيع الناس الطعام . وغاب يحي مدة ثم عاد ومعه كتاب آخر من المهدي جاء فيه " ادفعوا ليحيى خمس أموالكم " ففعل أهل البحرين ذلك . وجعلهم يحي على أهبة الاستعداد لظهور المهدي ، وعظم أمر أبي سعيد بعد أن اجتمع حوله العديد من القبائل (٩٦) .

أخذ أبو سعيد الجنابي التعاليم الخاصة بالحركة القرمطية عند لقائه بيحي بن المهدي في أثناء مجيئه إلى البحرين .

إنّ أبا سعيد كان من أبرع وأشجع قادة القرامطة ، وكان مؤمناً بأساليب القوة كغيره ، ومن المتحمسين للفكرة الثورية ، فألف جيشاً نظمه تنظيماً دقيقاً ، ثم لم يلبث أن أعلن قيام الدولة القرمطية في الأحساء والبحرين ، وتزوج من ابنه رجل مرموق هو الحسن بن سنبر الذي أصبح من أوائل المستجيبين له ومن دعاته المبشرين . ولم يأت عام ٢٨٦هـ حتى تمكن من السيطرة على معظم أنحاء البحرين ، وأخذ القطيف التي أصبحت مركزاً للقرامطة في القرن الثالث الهجري (٩٧) .

أخذ أبو سعيد الجنابي في غزو البلدان المجاورة ، التي أبت السير في ركابه ، فالتف حوله الناقمون على الحكم العباسي وكان يعاقب بالقتل كل من يعصى أوامره أو يقف في وجهه وأخذ ينتقل من بلدة إلى أخرى داعياً أهلها إلى الدخول في الدعوة مهدداً كل من يتخلف عن تلبية النداء ، فهابه الناس وأجابه الكثير منهم ، وفر منه خلق كثير إلى بلدان شتى . ولم تمتنع عليه غير " هجر " مركز التجارة وأرباب المال ، فنازلها شهوراً . وضرب

عليها حصاراً استمر أكثر من عشرين شهراً ، ثم قطع الماء عنها ، وأخيراً استسلمت له وسيطر عليها .

كذلك استولى على الأحساء بعد معارك طاحنة ، ثم سيطر على الطائف وعلى باقي بلاد البحرين . وهكذا قوى أمره وازداد نفوذه فأخذ يمد نشاطه نحو الشمال والجنوب والشرق والغرب ، حتى أصبح الحاكم المطلق على كافة المناطق التي خضعت لنفوذه . ولم تنجح الحملات العباسية التي أرسلت إلى البحرين للقضاء عليه (٩٨) .

علاقة القرامطة بالفاطميين بالمغرب :

أرادت الدعوة الإسماعيلية - بواسطة القرامطة - إيقاف الحج بشكل نهائي ، وذلك عن طريق مهاجمة قوافل الحجاج ، وقطع طرق الحج ، لكن عندما أخفقت هذه الخطة ، هاجم أبو طاهر مكة في أيام الموسم ، وقتل الحجاج ، واقتلع الحجر الأسود (٩٩) .

وكان منصور الديلمي قد خرج بالناس من بغداد إلى الحج أميراً له بأمر الخليفة ، فَسلِموا في الطريق من بغداد إلى مكة ، ولحقهم أبو طاهر القرمطي بها " يوم التروية " أي قبل طلوعهم إلى عرفات بساعات قليلة ، فقاتلهم أمير مكة ومن معه ، ولكن أبا طاهر هزمه ، وأعمل فيهم السيف ، ونهب الحجيج ، وقتل منهم حتى في المسجد الحرام ، وفي الكعبة نفسها ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثثهم ، وخلع باب الكعبة ، ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وينشد ويقول :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأصعد رجلاً ليخلع ميزاب البيت ، فوقع صريعاً ميتاً ، ودفن باقي القتلى في المسجد الحرام بدون تكفين ، ولم يصلِ عليهم وأخذ كسوة الكعبة فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة وخلع الحجر الأسود من البيت .

وفي طريق العودة نحو الأحساء أنشد أبو طاهر :

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صباً
لأنّا حججنا حجة جاهلية مجللة لم نبق شرقاً ولا غرباً
وإنّا تركنا بين زمزم الصفا جنائز لا تبغي سوى ربها رباً (١٠٠) .

ولقد فسر عملهم هذا بأنه يهدف إلى استبدال الأحساء بمكة ، وجعلها مقصد الحجاج ومركز المسلمين ، لأن الحجر كان يجذب الناس من سائر المعمورة (١٠١) .

والواقع أن حادثة احتجاز الحجر الأسود تعتبر من أهم الأحداث البارزة في تاريخ القرامطة لما تمثله من تحد كبير لسياسة الدولة العباسية وأيدلوجيتها السائدة ، ولم يكن أحد يتصور أن الصراع بين القرامطة والعباسيين سيصل إلى هذه الدرجة من التحدي ، نظراً لما لمكة والحجر الأسود من مكانة في قلوب المسلمين جميعاً .

وفي تلك الفترة كان الإمام أبو عبيد الله المهدي يثبت أقدامه في أقاليم المغرب العربي على حساب الخلافة العباسية . وهكذا استهدفت الحركتان تقويض أركان ودعائم الدولة العباسية والقضاء عليها تماماً (١٠٢) وكان التحالف بين الطرفين علناً . ولم يحاول أبو طاهر القرمطي إخفاء صلته وتبعيته لأبي عبيد الله المهدي ، فعندما دخل مكة في سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م خطب لعبد الله صاحب أفريقيا (١٠٣) .

وهكذا سادت علاقات طيبة بين الفاطميين وقرامطة البحرين منذ نشأت الدولة الفاطمية في المغرب العربي . لكن تلك العلاقات لم تدم طويلاً بين الطرفين بعد حادثة الحجر الأسود ، فقد كتب أبو عبيد الله المهدي كتاباً مليئاً بالتهديد لأبي طاهر بعدما بلغه ما فعله بأهل مكة والحجاج وأخذه للحجر الأسود ، فأنكر عليه ذلك ، ومما قال له : وقد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد

كسوة الكعبة ، فأنا برئ منك في الدنيا والآخرة (١٠٤) . وإزاء هذا التهديد الصريح من جانب عبيد الله اضطر القرامطة بعد أن عقد مجلس قيادتهم في البحرين أول جلساته عقب وفاة أبي طاهر إلى اتخاذ عدة قرارات من بينها مواصلة القتال ضد الخلافة العباسية والموافقة على إعادة الحجر الأسود إلى مكانه في البيت الحرام تلبية لرغبة الخليفة الفاطمي ، وكسباً لوده . قد تم ذلك على يد خلفاء أبي طاهر سنة ٣٣٩هـ .

ومن الواضح أن استجابة القرامطة لدعوة أبي عبيد الله في إرجاع الحجر الأسود وما أخذ من أهل مكة تدل دلالة واضحة على ما ساد العلاقات بين القرامطة والفاطميين من تطور فقد وجد كل من الطرفين أن استمرار تلك العلاقات تخدم مصالحهما وخططهما ، فقرامطة البحرين رأوا أن الارتباط بدولة كبيرة وقوية مثل الدولة الفاطمية يعطيها نوعاً من الحماية ويطيل أمدها في البقاء ولا يتعارض ذلك مع النزعة الاستقلالية لديهم ، وذلك لبعد المسافة بين البحرين والقيروان . أما بالنسبة للفاطميين فقد وجدوا أن جل ما يطلبونه في تلك المرحلة هو توجيه المزيد من الضربات إلى الخلافة العباسية ، ووجدوا في القرامطة خير من يقوم بهذا الدور مقابل ما يقدمونه لهم من العون والمساعدة المالية .

حاول زكريا الطمامي الانفراد بالأمر في الأحساء وتصفية آل أبي سعيد الجنابي وآل سنبر ، لذلك سارع أبو طاهر فقتله وتخلص منه (١٠٥)

وظل أبو طاهر سيداً لقرامطة الأحساء والبحرين حتى سنة وفاته في ٣٣٢هـ / ٩٤٤م لعل بين أهم ما حصل في العقد الأخير من حياته هو أخذ حركة قرامطة الأحساء والبحرين شكل دولة ، والدولة في العادة تتعامل بالسياسة حسبما تمليه المصالح ، وإنشاء الدولة معناه إما وصول الثورة إلى غاياتها القصوى أو قناعتها بعدم إمكان حصول ذلك والاكتفاء بما تحقق من مكاسب ، وفي هذا انكماش وبداية تراجع وسير في دروب الانهيار ، وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة لقرامطة البحرين ، صحيح أن دولتهم لم تزل من

الوجود فوراً ، وعاشت لحقبة طويلة ولكنها عاشت على الهامش ، يحجبها عن أماكن التأثير الفاعلة في العالم الإسلامي محيطات من رمال الصحراء(١٠٦) .

ولقد كان لاستيلاء الفاطميين على مصر ، وبناء مدينة القاهرة أبعد الآثار وأخطرها على دولة قرامطة الأحساء والبحرين ، فقد تعارضت مصالح الدولتين ، الفرصة التي استغلها سادة بغداد الجدد من الديلم ، فضغطوا على الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤م) للتقرب من القرامطة ، كما أوعزوا إلى الحمدانيين في الموصل ، وإلى قادة قبائل الشام والعراق والجزيرة للمبادرة إلى تقديم العون إلى القرامطة في صراعهم مع الفاطميين .

وكان الفاطميون حين استولوا على مصر يريدون القضاء على الخلافة العباسية ، ولم يكونوا يتوقعون عون القرامطة لأعدائهم ، بل كانوا يعولون على قرامطة البحرين القيام بمهاجمة العراق من الجنوب في أثناء زحف القوات الفاطمية على الشام ، ولا بد أنه كان في خطط الفاطميين إثارة إسماعيلية خراسان وتحريضهم للزحف في الوقت عينه على العراق ، مذكراً بالوقت نفسه أن قبائل بادية الشام والجزيرة والعراق كانت شيعية ، وكان الديلم شيعة أيضاً تراسل بعضهم مع الفاطميين .

وأحبط هذه الخطط الحفاظ على مصالح دولة القرامطة ، لأن احتلال الفاطميين للشام قطع الإتاوة التي كان يدفعها لهم حكام الدولة الإخشيدية ، ثم إن البويهيين آثروا التحكم بخليفة عباسي ضعيف على أن يدينوا بالطاعة لخليفة فاطمي قوي ، متذكرين أنهم كانوا شيعة زيدية ، وأن القبائل الجزرية والعراقية والشامية كانت شيعة إمامية .

وهكذا أخفقت خطط الفاطميين ، وكادوا يفقدون مصر ، فغالباً ما قهرت المصالح الدولية الوحدة العقائدية .

ومع قيام الصراع القرمطي الفاطمي كانت زعامة القرامطة قد آلت إلى الحسن بن أحمد ، الذي عرف بالأعصم لقصره (١٠٧) .

علاقة القرامطة بالفاطميين في مصر :

استطاع الفاطميون أن يوسعوا دائرة نفوذهم من الأراضي المغربية إلى الأراضي المصرية في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، ثم امتد النفوذ الفاطمي أيضاً ليشمل فلسطين والشام (١٠٨) .

وجاءت هذه الانتصارات الفاطمية لتزيد من مخاوف العباسيين الذين خشوا من امتداد النفوذ الفاطمي إلى بغداد نفسها ، خاصة أن القرامطة في تلك المرحلة كانوا يشكلون خطورة بالغة على بغداد . لذلك أدرك العباسيون وعلى رأسهم الخليفة المعتمد أنه من صالحهم التحالف مع القرامطة أو تحييدهم على الأقل ، لتخفيف خطرهم على بغداد . هذا من جانب أما الجانب الآخر فإن سيطرة الفاطميين على مصر أدت إلى قطع الإتاوة التي كان يدفعها كافور الأخشيدي للقرامطة ومقدارها ٣٠٠ ألف دينار ، وربما يكون هذه أحد الأسباب التي أدت إلى تبدل صلة المودة بين قرامطة البحرية والفاطميين .

وهكذا نجح العباسيون في إحداث فجوة في العلاقات القرمطية الفاطمية واستطاعوا استغلال سوء العلاقة بين الطرفين لصالحهم . ولا شك في أن وجود تحالف قرمطي فاطمي يشكل خطورة كبيرة على الكيان السياسي العباسي ثم أن انهيار الجبهة الفاطمية القرمطية كان في صالح العباسيين الذين نجحوا في جذب القرامطة إلى جانبهم ضد أعدائهم الفاطميين، فكان لهم في بغداد ممثل نافذ الأمر . وقد برهنت الأحداث التالية مدى التعاون الوثيق فيما بينهم ، والذي تطور إلى ما يشبه حلف صداقة ودفاع ضد الفاطميين (١٠٩) .

وكان الفاطميون حين استولوا على مصر يستهدفون الوصول إلى بغداد والقضاء على الخلافة العباسية . وكان للفاطميين أنصارهم في خراسان

والمشرق ، ممن يمكن حشدهم للتوجه نحو العراق ، وكان على قرامطة البحرين مهاجمة العراق من الجنوب . ولذلك يلاحظ أنه ما أن تمكن جوهر الصقلي من الاستيلاء على مصر حتى قام سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م بإرسال جيش كبير على رأسه القائد الكتامي جعفر بن فلاح نحو بلاد الشام ليعمل على ضمها إلى الحكم الفاطمي . ولقد لقي هذا الجيش في أثناء زحفه إلى فلسطين مقاومة من بقايا الجيوش الإخشيدية ، لكنه تغلب عليها .

وكان يخيل لجعفر بن فلاح بعد الاستيلاء على فلسطين وقدوم وفد من أهل دمشق إلى طبرية لاستقباله أنه صار سيد الشام ، وأنه سيتمكن قريباً من الزحف نحو العراق تعاونه قبائل بادية الشام والجزيرة الفراتية التي كانت تدين بالتشيع . وكان جعفر أحمقَ هذاراً ، كثير الكلام أكثر كلامه بغير طائل، وكان جنده جفاة غلاظاً أساءوا معاملة الوفد الشامي (١١٠) .

وزحف الجيش الفاطمي نحو دمشق وعسكر خارج المدينة ، فخرج الناس إليه مستعدين في خيل ورجل فاقتتلوا ، واستمر القتال مدة طويلة ، وأخيراً دخل الفاطميون دمشق.

وبعدما دخل ابن فلاح دمشق هرب زعيم الأحداث *أبو إسحق محمد بن عصودا إلى الأحساء حيث طلب معونة القرامطة ضد الفاطميين ، وإنه لمثير للانتباه توجه زعيم أحداث دمشق إلى الأحساء وليس إلى بغداد أو حلب أو الموصل للاستعانة بالسلطات العباسية أو الحمدانية ، فهل جمعت بين أحداث دمشق وقرامطة البحرين مواقف عقائدية ، أم الجامع كان العداء للفاطميين ، أم أن السبب هو أن والي دمشق وشاح السملي قبل دخول ابن فلاح إليها كان معيناً من قبل القرامطة ؟ (١١١) .

---

* الأحداث : جماعات من شباب دمشق شكلوا نوعاً من أنواع المليشيات " الشبيبة البلدية " واختاروا زعماء منهم مثل محمد بن عصودا الذي تصدى لجعفر بن فلاح وقسام التراب .

وقام ابن فلاح بإعدام زعماء الأحداث وكان منهم إسحق بن محمد بن عصودا .

وأما محمد بن عصودا ، فإنه لما انهزم سار إلى الأحساء هو وظالم ابن مرهوب العقيلي ، وحث القرامطة على المسير إلى الشام ، فوافق ذلك منهم الغرض ، لأن الإخشيدية كانت تحمل في كل سنة إلى القرامطة مالاً ، فلما أخذ جوهر مصر انقطع المال عن القرامطة ، فأخذوا في الجهاز للمسير إلى الشام .

وكان على رأس القرامطة في الأحساء الأعصم " الحسن بن أحمد الجنابي " ، فانزعج لما حدث بالشام ، وبعث سفارة من قبله إلى بغداد تفاوضت مع سلطاتها البويهية ، ووعد البويهيين بتقديم ألف ألف دينار ، وألف جوشن * ، وألف سيف ، وألف رمح ، وألف قوس ، وألف جعبة للقرامطة عندما يصلون إلى الكوفة .

وعندما وصل القرامطة إلى الكوفة ، كتبت سلطات بغداد إلى أمير الدولة الحمدانية " ٣٥٨ - ٣٦٩هـ " أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة الحمداني بحمل مبلغ أربعمائة ألف دينار إلى القرامطة من مال الرحبة ** ، وإن يمد القرامطة بما يحتاجونه من عون .

وجاء القرامطة مع الحسن الأعصم إلى الرحبة ، فبعث إليه تغلب الحمداني بالمال والمساعدات (١١٢) .

وكان جعفر بن فلاح بعد استيلائه على دمشق بعث بجيش نحو أنطاكية بقيادة غلامه فتوح . وعندما وصلته الأخبار عن حشود القرامطة وبغداد على شاطئ الفرات جنوب قرقيسيا .

بالرحبة كتب جعفر إلى غلامه فتوح ، وهو على أنطاكية يأمره بالرحيل ، فوافاه الكتاب . . . فشرع في شد أحماله ، ونظر الناس إليه فجفلوا ورموا

---

* الجوشن : الصدر والدرع والجمع جواشن ، المعجم الوجيز .

** الرحبة : بضم الراء وسكون الحاء وفتح الباء . هي مدينة تقع بين الرقة

خيمهم ، وأراقوا طعامهم ، وأخذوا في السير مجدين إلى دمشق . فلما وافوا جعفرًا أراد أن يقاتل بهم القرامطة فلم يقفوا ، وطلب كل قوم موضعهم ، ولم يبالوا بالموكلين على الطريق .

سار الحسن بن أحمد الجنابي من الرحبة إلى أن قرب من دمشق ، فجمع جعفر خواصه ، واستشارهم فاتفقوا على أن يكون لقاء القرامطة في طرف البرية قبل أن يتمكنوا من " العمارة " فخرج إليهم ولقيهم فقاتلهم قتالاً كبيراً ، فانهزم عنه عدد من أصحابه ، فهرب في مجموعة من أصحابه ، فلحقه القرامطة وأعملوا فيهم السيف ، وقد تكاثرت العربان عليهم من كل ناحية ، وصعد الغبار ، فلم يُعرف كبير من صغير ووجد جعفر قتيلاً لا يُعرف له قاتل . . وخرج محمد بن عصودا إلى جثة جعفر بن فلاح وهي مطروحة في الطريق ، فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره . . . وملك القرامطة دمشق ، وورد الخبر بذلك على جوهر فاستعد لحرب القرامطة .

إن هذه الهزيمة شكلت انتكاسة هائلة بالنسبة لمشاريع الخلافة الفاطمية بالتوسع والانفراد بزعامة العالم الإسلامي .

عيَّن القرامطة والياً على دمشق وتابعوا زحفهم نحو القاهرة خلف الفلول الفاطمية .

وعندما علم جوهر بتحرك القرامطة نحو دمشق أرسل من مصر رجلاً من المغاربة يُقال له سعادة بن حيان* في أحد عشر ألفاً ، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قُتل ، وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة تحير ، وتقطعت به الأسباب فلم تكن له جهة غير الدخول إلى يافا ، ولم يكن له بها عدة ولا دار ، فلما دخل إليها جاءه الحسن بن

---

* سعادة بن حيان قائد من قواد جوهر الصقلي جاء معه من المغرب إلى مصر .

أحمد** فنزل عليها ، واجتمعت إليه عرب الشام ، فنازلها وناصبها بالقتال ، حتى اشتد الحصار وقل ما بها جداً .

وترك القرمطي يافا تحت الحصار ، وتوجه نحو مصر ، ونزل على القاهرة سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م ، وحاصرها ، فقاتل المغاربة على الخندق المحيط بمدينتهم ، وقتل كثيراً منهم خارج الخندق ، وحاصرهم شهوراً ، ثم رحل عنها إلى الأحساء ولم يعلم الناس سبب ذلك.

ثم وَقَع خلاف بين ظالم بن مرهوب وأبو المنجا نائب الأعصم ، مما أدى إلى رفع الحصار عن يافا ، الفرصة التي استغلها جوهر ، فأرسل من قدم المساعدة إلى المحاصرين داخل يافا .

وسار القرامطة نحو مصر فنزلوا ببلبيس ، ومن هنا بعث الحسن بن أحمد الأعصم بجزء من قواته نحو الصعيد " وانبثت سراياه في أرض مصر، فتأهب المعز ، وعرض عساكره في الثالث من رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الأرزاق ، وسير معهم الأشراف والعرب ، وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع ، وسيّر معه أولاده وجميع أهله ، وجمعاً من جند المصريين.

وطالت المناوشات بين القرامطة وجيوش المعز ، واستمال المعز إلى جانبه دغفل بن الجراح أمير قبائل طيء ، وكانت أقوى القبائل في فلسطين ، ويروى أنه اشترى تخليه مع تحالفه مع القرامطة بمبلغ مائة ألف دينار(١١٣) .

وكان لتخلي الطائيين عن القرامطة آثاره الجدية ، حيث استعادت القوات الفاطمية زمام المبادرة ، حتى كادوا يأسرون الحسن الأعصم ، فإنهم

** هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي المعروف بالأعصم .

أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجة مضى منها على وجهه ، ونهب سواده وأخذت قبته ، وأسر رجاله .

وسار إلى الشام حتى نزل في منطقة درعا ، وهنا عرف بزحف جيش فاطمي كبير تعداده ٢٠.٠٠٠ بقيادة إبراهيم بن جعفر بن فلاح يريد دمشق ، وأن المعز لدين الله قد راسل ظالم بن مرهوب العقيلي ، ووعده بتوليه مدينة دمشق .

أراد رجل الدولة البويهية القوى في العراق ، عضد الدولة " فناخسرو " استغلال ما لحق بحملة الحسن الأعصم على مصر مع غيابه عن الأحساء ، فبعث عسكراً إلى الأحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الأعصم ، ففر أبو يعقوب ، وأخذ العسكر ما كان في الأحساء ، فقدم الأعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم إليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلاً ونهباً فقويت نفسه ، وكاتب العرب فأتوه .

وصل إبراهيم بن جعفر بن فلاح مع قواته إلى دمشق وشرع بحصارها ، والتحق به آنذاك ظالم بن مرهوب العقيلي ، وحاول ظالم وإبراهيم الاستيلاء على دمشق بالحديد والنار ، فأوقعا الحرائق بعدة أمكنه من المدينة ، وكاد الدمار يلحق بها ، لكن ذلك لم يفتّ في عضد الدمشقيين بزعامة أحداثها .

وأخيراً اضطر الجيش الفاطمي وظالم بن مرهوب إلى القبول بتسوية مع أهل دمشق قضت بانسحاب كل من إبراهيم بن جعفر بن فلاح وظالم بن مرهوب ، وأن يسمح أهالي دمشق لجيش ابن الصمصامة – وهو ابن أخت جعفر – بالدخول إلى مدينتهم والياً عليها ، وكان ذلك سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م

ولكن الدمشقيين لم ينفذوا الاتفاق حيث منعوا ابن الصمصامة من دخول مدينتهم فلحق بخاله ، وسمت القاهرة صقلبياً خصياً اسمه ريان لولاية دمشق .

وفي هذا الوقت بالذات شهدت بغداد صراعات على السلطة أدت - فيما أدته - إلى خلع الخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤م) واستخلاف ولده الطائع الأمر الذي سيؤثر على مجريات الأحداث في بلاد الشام وخاصة دمشق ومن ثم العلاقات بين القرامطة والفاطميين .

وكان مما نجم عن خلع الخليفة المطيع لله قيام بعض العسكريين الترك بهجر بغداد والتحق أحدهم واسمه البتكين بمنطقة دمشق وعسكر خارجها ومعه مجموعة من غلمانه فخرج إليه بعض شيوخ المدينة وأشرافها فرحبوا به وسألوه الإقامة عندهم ليصلح أحوالهم فقبل البتكين العرض وكان عسكرياً محترفاً له خبرات إدارية وسياسية ، وبعدما دخل دمشق قام بترتيب الأمور فيها بالتعاون مع الأحداث وكان مقدمهم يُسمى قسام التراب .

خلف العزيز الفاطمي المعز لدين الله وافتتح عهده بإعداد جيش كبير جرده نحو دمشق وجعل على رأسه جوهر الصقلي شخصياً وأمره أن يسترد دمشق بأي ثمن ، وأن يبعد خطر القرامطة عن بلاد الشام مهما كلفه الأمر .

وسار جوهر من القاهرة في جيش بلغ عدده عشرين ألفاً فبلغ البتكين وهو في عكا مسير جوهر وأن القرامطة في الرملة ولوا منهزمين عجزاً عن مقاومته ، وسار البتكين إلى دمشق وجوهر في أثره إلى أن نزل بين دارية وبين الشماسية ظاهر دمشق وحفر على عسكره خندقاً عظيماً وجعل له أبواباً وبنى البيوت من داخل الخندق ، وكان قد انضم إليه ظالم بن مرهوب العقيلي، فأنزله خارج الخندق وجمع البتكين كل من يستطيع حمل السلاح في دمشق وقدم رئيس الأحداث وأجرى له الأرزاق وأخرجه إلى قتال جوهر .

واستمرت الحرب بين جوهر والمدافعين عن دمشق عدة أشهر وصلت خلالها الأخبار إلى المنطقة بزحف الحسن الأعصم على رأس قوة

قرمطية كبيرة ، وحينما بلغ ذلك جوهر دعا إلى الصلح وكان الشتاء قد حل وهلك ما معه من الكراع وسار معظم أصحابه رجالاً بغير خيل وقلت العلوفات عنده ، واشتد وقوع الثلوج لذا امتنع البتكين من إجابته وأخيراً قبل وأنفذ إليه الجمال .

رحل جوهر عن دمشق بعدما أحرق ما عجز عن حمله من الخزائن والأسلحة وجدَّ في السير خوفاً من أن يدركه القرمطي فهلك كثير من عسكره من شدة الثلج ، وخرج البتكين من دمشق ولحق بالقرامطة واجتمعوا على قتال جوهر وجرت بينهم حروب طويلة شديدة أدت إلى التجاء جوهر إلى عسقلان وقد فني معظم عسكره ونهبت أثقاله وحاصره البتكين حتى بلغ منه الجهد الشديد وضاقت به الأرض فلاذ إلى الصلح وبعث إلى البتكين وتعاقدوا على ذلك على أن يدفع جوهر إليه مبلغاً من المال وخرج جوهر ومن معه من تحت سيف البتكين الذي علقه على باب عسقلان (١١٤) .

وهكذا تجنب الجيش الفاطمي التصادم مع قوات البتكين والقرامطة واتصل العزيز بأمراء قبيلة طيء ، ومع أن علاقة الحسن الأعصم كانت متينة بأمير الرملة أبي داود المفرج بن دغفل بن الجراح ، وكان يتعشقه وينظم الشعر بالتغزل له ، آثر آل الجراح المال ، وفضلوا شذوذ فسخ الأحلاف على غيره من أنواع الشذوذ ، فتخلوا عن القرامطة وخذلوهم ، فتراجع الحسن الأعصم إلى الرملة . وهكذا انفرد العزيز الذي جاء على رأس جيش كبير بالبتكين ، فأوقع به الهزيمة ، وحمله معه إلى القاهرة .

وعاد العزيز الفاطمي إلى القاهرة دون إكمال زحفه نحو دمشق لكن بعد التراسل مع القرامطة ، وكان الحسن الأعصم قد توفي بالرملة يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة هجرية ، فقام من بعده ابن عمه جعفر ، ورضي زعيم القرامطة الجديد بمهادنة العزيز مقابل إتاوة مالية عالية تدفع سنوياً .

إن حروب القرامطة مع الفاطميين بقيادة جوهر الصقلي وجعفر بن فلاح كانت أغلبها انتصارات للقرامطة ، ولكن عندما جاء الخليفة الفاطمي المعز من المغرب إلى مصر تحولت انتصارات القرامطة إلى هزائم منكرة ، فمجيؤه خفف من حماس القرامطة لأنهم علموا أنهم يقاتلون إماماً اعتقدوا به وآمنوا بقدسيته هم وآباؤهم وأجدادهم (١١٥) .

وقد يكون هذا العامل المعنوي ، أما العامل العسكري فكان هو الفيصل لأن الفاطميين بذلوا كل جهدهم وطاقتهم واستعدادهم للتغلب على القرامطة ، وقد كان لهم ذلك .

وهكذا أسدل الستار على الصراع القرمطي الفاطمي الذي تنازعته رغبة القرامطة في تحقيق المصالح والمغانم والسيطرة وعدم الخضوع للفاطميين ، والهاجس الخفي الذي يدق في أعماقهم من أن الذي يقاتلونه هو الإمام .

وكانت نهاية القرامطة في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي . وقد مرت هذه النهاية في طورين انتهى الطور الأول منهما بطردهم من جزيرة أوال وانتهى الثاني باستئصال شأفتهم من بلاد البحرين (١١٦) .

وكانت هزيمة القرامطة في جزيرة أوال بعيدة الأثر عليهم في بلاد البحرين نفسها ، فقد اتصل السنيون في بلاد البحرين بالسلاجقة وبالعباسيين في العراق ، فبعثوا إليهم في سنة ٤٦٢هـ بجيوش جرارة أحلت بالقرامطة هزائم متتالية ، واضطر القرامطة إلى الارتداد إلى بلاد الأحساء . وقد شجعت هذه الهزائم العباسيين والسلاجقة ، فأرسلوا إلى الأحساء جيوشاً جرارة بقيادة طائفة من أمهر قوادهم ، وأذاعوا المنشورات يستحثون فيها الناس على الانضواء تحت لواء هؤلاء القواد في جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين . . . وفي استئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم . وقد التف السنيون في البحرين حول الثوار وأنصار العباسيين ، وأحاطوا

بالقرامطة في شمالي الأحساء ، وانتصروا عليهم في موقعة الخندق الفاصلة سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧ – ١٠٧٨م (١١٧) .

وفي الموقعة تم القضاء نهائياً على القرامطة الذين كانوا مصدراً للرعب زهاء قرنين من الزمن (١١٨) بعد أن كونوا مذهباً كان أوله دنياً وآخره شيوعياً (١١٩) .

مراجع البحث

(١) حسين ، د. محمد كامل : الطائفة الإسماعيلية (تاريخها - نظمها - عقائدها) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٩م ، ص ١٤٧ .

(٢) حسين : ص ١١ .

(٣) غالب ، د. مصطفى ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس ، الطبعة الثالثة ، بيروت سنة ١٩٧٩م ، ص ١٢٤ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٢٨ .

(٥) الخطيب ، محمد أحمد : عقيدة الدروز عرض ونقد ، مكتبة الأقصى، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٤ .

(٦) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) : الملل والنحل ، ٢ج تحقيق محمد سيد الكيلاني دار المعرفة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٦١م ، ج١ ص ١٩١ .

(٧) غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص ١٢٥ .

(٨) غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص ١٢٥ .

(٩) عبد الله المرتضى : الفلك الدوار ، ص ١٢٥ .

(١٠) حسين : ص ١٣ .

(١١) القضاة ، د. أمين ، ود. محمد الخطيب ، ومحمد عوض الهزايمة : أديان وفرق ، دار عمّار ، عمان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ، ص ١٣٢ .

(١٢) الشكعة ، د. مصطفى : إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية للطباعة بيروت ، ص ٢١٧ .

(١٣) الشهرستاني : ج١ ص ١٧٩ .

(١٤) الشهرستاني : ج١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(١٥) جمال الدين ، د. محمد السعيد : دولة الإسماعيلية في إيران ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة سنة ١٩٧٥م ، ص ٢٠ .

(١٦) الخطيب : عقيدة الدروز ، ص ١٦ .

(١٧) لويس ، برنارد : أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، ترجمة خليل أحمد خليل دار الحداثة ، بيروت سنة ١٩٨٠م ، ص ١١١ .

(١٨) الخطيب ، محمد أحمد : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (عقائدها وحكم الإسلام فيها) مكتبة الأقصى ، ط١ سنة ١٩٨٤م ، ص ٥٩ .

(١٩) القضاة : ص ١٣٤ .

(٢٠) لويس : ص ١٢ – ١٣ .

(٢١) الخطيب : عقيدة الدروز ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٢٢) القرطبي ، عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٩٠م ، ص٥٢ .

(٢٣) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي (٥١٠ – ٥٩٧هـ) : القرامطة ، وهي فصل من كتابة المنتظم ، حققه محمد الصباغ ، الكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣ سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ٣٨ – ٣٩ .

(٢٤) زكار ، د. سهيل : أخبار القرامطة في الأحساء والشام واليمن والعراق ، جمع وتحقيق ودراسة ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ط٢ سنة ١٩٨٢م ، ص ٦–٨.

(٢٥) ابن الجوزي : القرامطة ، ص ٤٤ – ٤٧ .

(٢٦) منصور ، د. علي : قرامطة البحرين والأحساء في العصر العباسي، بحث قدم في الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب

في القاهرة سنة ١٩٩٦م تحت عنوان (إقليم الخليج على مر عصور التاريخ) ، ص ١٦٦ .

(٢٧) تامر ، عارف : القرامطة ، أصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢٨) الوالي ، طه : القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م ، ص ٢٦ .

(٢٩) زكار : أخبار القرامطة ، ص ٢٦٣ .

(٣٠) الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٣١) ابن الجوزي : القرامطة ، ص ٥٨ .

(٣٢) الشهرستاني : ج١ ص٣٣٥ .

(٣٣) الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص ١٦١ .

(٣٤) الوالي : ص ٩١ - ٩٢ .

(٣٥) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك ١١ج ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٩م ، ج١٠ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣٦) ابن الجوزي : القرامطة ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣٧) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

(٣٨) البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة سنة ١٩٨٨م

ص ٢٩٦ -٢٩٧ .

(٣٩) البغدادي : ص ٢٩٧ .

(٤٠) الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص ١٦٢- ١٦٣ .

(٤١) الوالي : ص ١٠٠ .

(٤٢) زكار : أخبار القرامطة ، ص ٢٦٤ .

(٤٣) الوالي : ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٤٤) تامر : ص ١٠٣ – ١٠٥ .

(٤٥) الوالي : ص ٧١ – ٧٢ .

(٤٦) ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم : بغية المرتاد " في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد " ، تحقيق ودراسة د. موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٩٢ – ٤٩٣ .

(٤٧) النساء : آية ٥٦ .

(٤٨) ابن الجوزي : ص ٦٠ – ٦٢ .

(٤٩) سورة النساء : آية ١١ .

(٥٠) سورة الأعراف : آية ٥٣ .

(٥١) سورة المائدة : آية ٣ .

(٥٢) ابن الجوزي : القرامطة ، ص ٦٢ – ٦٥ .

(٥٣) الطبري : ج١٠ ، ص ٢٦ .

(٥٤) الأمين ، عبد الله : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة ، دار الحقيقة ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩١م ، ص ١٣٦ .

(٥٥) بندلي ، الجوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام (من تاريخ الحركات الاجتماعية) ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ، سنة ١٩٢٨م ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٥٦) دي خويه ، مايكل : القرامطة ، بيروت ، سنة ١٩٧٨م ، ص٧٢ – ٨٠ . وانظر زكار : الجامع في أخبار القرامطة ، دمشق ، سنة ١٩٨٧م ، ج١ ، ص١٥١ – ١٥٢ .

(٥٧) الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٥٨) سورة الملك : آية ٣ .

(٥٩) سورة الحاقة : آية ١٧ .

(٦٠) سورة المدثر : آية ٣٠ .

(٦١) الخطيب : الحركات الباطنية ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

(٦٢) الأمين : ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٦٣) الخطيب : الحركات الباطنية ، ص ١٦٤ .

(٦٤) الأمين : ص ١٣٨ .

(٦٥) الخطيب : الحركات الباطنية ، ص ١٦٤ .

(٦٦) اليماني ، الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضل الحمادي اليماني (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة سنة ١٩٨٨م ، ص ٢٢ – ٣٠ .

(٦٧) سور البقرة : آية ٤٣ .

(٦٨) سورة الأنعام : آية ١٢٠ .

(٦٩) سورة الأعراف : آية ٣٣ .

(٧٠) سورة هود : آية ٤٠ .

(٧١) سورة ص : آية ٢٤ .

(٧٢) سورة سبأ : آية ١٣ .

(٧٣) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٧٤) سورة الأعراف : آية ٣٢ .

(٧٥) سورة المائدة : آية ٩٣ .

(٧٦) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٧٧) سورة مريم : آية ٢٦ .

(٧٨) سورة المائدة : آية ٦ .

(٧٩) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

(٨٠) سورة الطارق : آية ٥ – ٦ .

(٨١) سورة السجدة : آية ١٧ .

(٨٢) سورة ق : آية ٢٢ .

(٨٣) سورة الليل : آية ١٣ .

(٨٤) سورة الأعراف : آية ٣٢ .

(٨٥) سورة النور : آية ٣١ .

(٨٦) الواقعة : آية ٢٢ – ٢٣ .

(٨٧) سورة فصلت : آية ٣٥ .

(٨٨) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٥م) : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ج٤ ص ١١٩ – ١٦٤ .

(٨٩) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبعة شركة الإعلان الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ١٥٢ – ١٥٣ .

(٩٠) المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشافعي المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ / ١٩٨٥م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن سنة ١٩٠٦م ، ص ١١٩

(٩١) مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) : تجارب الأمم ، باعتناء هـ . ف آمدروز ، طبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ج٢ ص ٩٩ .

(٩٢) الدوري ، د. عبد العزيز : دراسات في العصور العباسية المتأخرة مطبعة السريان بغداد سنة ١٩٤٥م ، ص ١٧٨ .

(٩٣) الدمشقي ، أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، القاهرة سنة ١٣١٨هـ / ص ٤٣ .

(٩٤) دلو ، برهان الدين : مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفرابي بيروت سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٢٨ .

(٩٥) ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ ، ١٢ج ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ج٧ ص ٤٩٤ .

(٩٦) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، المطبعة النابلسية ، بيروت ١٩٥٧م ، ج٣ ص ٧٣٧.

(٩٧) منصور : ص ١٦٧ .

(٩٨) غالب : القرامطة بين المد والجزر ، ص ٣٨٩ .

(٩٩) زكار : الدولة القرمطية في البحرين (تأسيسها - نظمها الإدارية - ونشاطها العسكري) بحث قدم في الندوة التي عقدها اتحاد

المؤرخين العرب في القاهرة سنة ١٩٩٦م تحت عنوان (إقليم الخليج على مر عصور التاريخ) ، ص ١٤٤ .

(١٠٠) زكار : الدولة القرمطية في البحرين ، ١٤٤ – ١٤٥ .

(١٠١) خسرو ، ناصر : سفرنامة ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٩٤ .

(١٠٢) أمير علي ، إسماعيل : القرامطة والحركة القرمطية في التاريخ ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الأولى بيروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٠٠ .

(١٠٣) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ج ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ، القاهرة سنة ١٩٦٣م ، ج٤ ص ٢٦٨ .

(١٠٤) الصابي ، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : المختار من رسائل أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن زهب الصابي ، المطبعة العثمانية ، لبنان بيروت سنة ١٨٩٨م ، ج١ ص ٢٥٨ .

(١٠٥) زكار : الدولة القرمطية في البحرين ، ص ١٤٦ .

(١٠٦) زكار : الدولة القرمطية في البحرين ، ص ١٤٧ .

(١٠٧) زكار : الدولة القرمطية في البحرين ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(١٠٨) أمير علي : ص ٢٤٤ .

(١٠٩) منصور : ص ١٨٠ .

(١١٠) زكار : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، طبعة دمشق سنة ١٩٩٥م ج١ ص ٣١٢ .

(١١١) زعرور ، د. إبراهيم : العلاقات بين قرامطة البحرين والخلافة الفاطمية في مصر ، بحث مقدم في ندوة اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة سنة ١٩٩٦م ، ص ٢٠٣ .

(١١٢) زعرور : ص ٢٠٤ .

(١١٣) زعرور : ص ٢٠٨ .

(١١٤) زكار : الموسوعة الشامية ، ج١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(١١٥) تامر : ص ١٦١ .

(١١٦) حسن ، د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤ج ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشرة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج٤ ص ٢٤٦ .

(١١٧) حسن : ج٤ ص ٢٤٦ .

(١١٨) صادق ، حسن : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية (منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى اغتيال السادات) ، مكتبة مدبولي القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٠٣ .

(١١٩) العش ، د. يوسف : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، راجعه ونقحه د. محمد أبو الفرج العش ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٦٤ .